مركز الدراسات والمراجعة العلمية
Center for Studies & Scientific Review

أوراق معرفية

مجلة فصلية تُعنى
بالمعرفة الدينية والثقافية

تصدر عن
العتبة العباسية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
مركز الدراسات والمراجعة العلمية

العدد الثامن عشر
شهر ربيع الثاني- ١٤٤٤هـ- تشرين الثاني ٢٠٢٢م

مركز الدراسات والمراجعة العلمية
Center for Studies & Scientific Review

اوراق معرفية

المشرف العام

سماحة السيد أحمد الصافي

الإشراف العلمي

السيد ليث الموسوي

رئيس التحرير

السيد عقيل الياسري

متابعة وتنفيذ

الشيخ حسن علي الجوادي

سكرتير التحرير

الشيخ حسين مناحي

التدقيق اللغوي

مصطفى كامل محمود

عمار كريم السلامي

التصميم والإخراج الفني

علاء سعيد الأسدي

designed by freepik

المحتويات

أوراق قرآنية

١٠ فائدة قرآنية
شيخ الطائفة الطوسي

١٢ تفسير العاجلة والآخرة
الشيخ فيض الله الكاشاني

١٣ القرآن مصون من التحريف
العلامة السيد محمد الطباطبائي

١٦ تهاجم الزمخشري في تفسيره على أهل الحديث
الشيخ العلامة محمد هادي معرفة

أوراق فكرية

٢٢ الاعتقاد في الموت
الشيخ الصدوق

٢٨ أسماء الله الحسنى
للشيخ تقي الدين الكفعمي

٣١ عدم جواز التقليد في الاعتقادات
الشيخ الحر العاملي

٣٤ بيان أصول الدين
المرجع الديني الشيخ وحيد الخراساني

٤١ تطور الانسان
السيد محمد باقر السيستاني

أوراق علمية

٤٩ الحاجة الى علم الرجال
زعيم الطائفة السيد ابو القاسم الخوئي

٥٢ أدوار الفكر الأصولي عند الشيعة
السيد هاشم الهاشمي

٦٠ سند زيارة الأربعين
السيد محمد رضا السيستاني

٦٣ نظرة اجمالية
الشيخ حسن الجواهري

أوراق تاريخية

٦٨ الميدان الجديد
الشيخ راضي آل ياسين

٧٤ قتل الامام الحسين عليه السلام
فقيه أهل البيت آية الله العظمى
السيد محمد سعيد الحكيم

٧٩ الامام الصادق عليه السلام والمنصور
العلامة الشيخ محمد
الحسين المظفر

٨٨ افضلية أهل البيت عليهم السلام
فخر الدين الرازي

أوراق اجتماعية

٩١ موعظة عن الموت
العلامة السيد علي بن طاوس

٩٢ علاج البخل
السيد مهدي الصدر

٩٦ مشاكل الزواج في الوقت الحاضر
العلامة الشيخ جعفر السبحاني

٩٨ كاشف الغطاء الكبير والمصلون
العلامة محمد جواد مغنية

أوراق ثقافية

١٠١ شروحات الصحيفة السجادية
العلامة الشيخ باقر شريف القرشي

١٠٧ المقنع في الغَيْبة
قراءة وتحقيق السيّد محمّد عليّ الحكيم

١١٠ رثاء بحق أبي الفضل العباس بن علي (عليهما السلام)
الشيخ محمد بن اسماعيل البغدادي الحلي

١١٢ حق الرحم (الأم)
الإمام زين العابدين عليه السلام

قيمة مداد العلماء

جاء في الرّواية عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إذا كان يوم القيامة وُزِنَ مداد العلماء بدماء الشهداء، فيرجح مداد العلماء على دماء الشهداء**»[1]، وهذه الرواية رواها جملة من المحدثين من المذاهب والمشارب المتعددة، اي محل اتفاق الكل، وهذا يعزز مفهوم وقيمة نتاج العلماء وتراثهم، فإنهم المحرك للحياة وهيبة المجتمع، وحصونه المنيعة وبهم تدفع الشبهات وتزاح الملمات، ومن يتأمل في النصوص الصادر في فضل العلم لا يتعجب من بلوغ مرتبة العلماء فوق مرتبة الشهداء، ولذلك علق بعض الاعلام على النص الوارد أعلاه قائلاً:

«إنّ القلاع المحيطة بالمدن تصد الأعداء من التسلل إلى داخلها، وترد كيدهم إلى نحورهم، وهكذا العلماء الأمناء بعلومهم وأفكارهم وأقلامهم ودروسهم وما يملكون في طريق إرشاد الأمّة من حول وقوة، يمثلون أمام الهجمة الثقافية والفكرية الكافرة حصناً معنوياً، ويغذون الأمة بالأفكار الصالحة، ويرشدونها إلى مكائد الأعداء ومخططاتهم الغاشمة.

ولذا أصبح مداد العلماء أفضل من دماء الشهداء فإنَّ الشهيد إنّما يتسامى نفسياً ويختار الشهادة بفضل مواعظ العلماء وإرشادهم»[2].

(١) الأمالي، الشيخ الطوسي، ص ٥٥١.

(٢) تذكرة الأعيان: ج٢، ص٢٦٦.

واتضح ان الاهتمام بما جادت به قرائح الاعلام، ضرورة بالنسبة لطلاب العلم والفضيلة، فالعالم له تجربة خاصة في معالجة الامور والتوصل الى الحلول المناسبة، كما انه المرآة الصادقة التي تعكس ما وصل اليه من تحليل وتأمل لنصوص الدين الحنيف، ومن هذا المنطلق احتوى العدد الثامن من مجلة (أوراق معرفية) عدداً من المعارف والموضوعات الرائعة من مداد أعلام الطائفة الأجلاء.

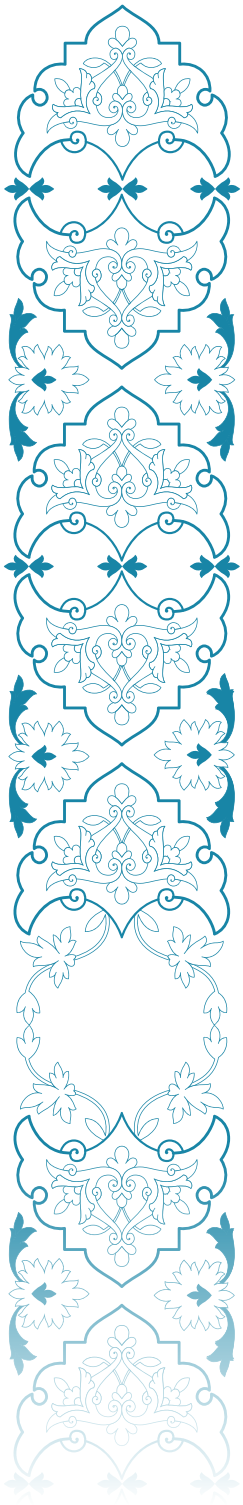

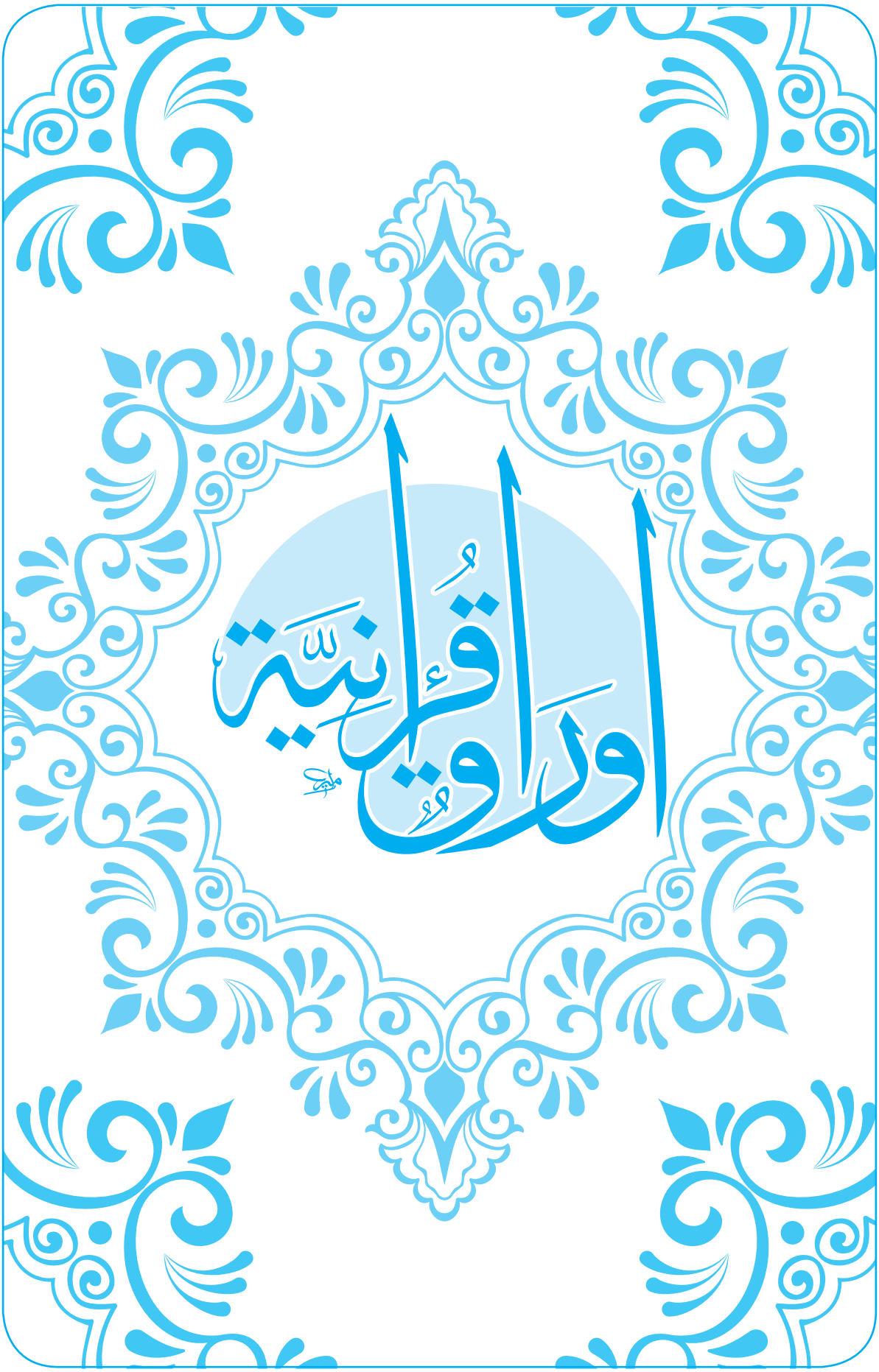
اوراد قرآنیه

فائدة قرآنية

شيخ الطائفة الطوسي

علم ان القرآن معجزة عظيمة على صدق النبي صلى الله عليه وآله، بل هو من أكبر المعجزات وأشهرها.

غير أنّ الكلام في إعجازه، وجهة إعجازه، واختلاف الناس فيه، لا يليق بهذا الكتاب؛ لأنه يتعلق بالكلام في الأصول.

وقد ذكره علماء أهل التوحيد، وأطنبوا فيه، واستوفوه غاية الاستيفاء، وقد ذكرنا منه طرفاً صالحاً في شرح الجمل، لا يليق بهذا الموضع؛ لأن استيفاءه يخرج به عن الغرض واختصاره لا يأتي على المطلوب، فالإحالة عليه أولى والمقصود من هذا الكتاب علم معانيه، وفنون أغراضه وأما الكلام في زيادته ونقصانه فمما لا يليق به أيضاً؛ لأن الزيادة فيه مجمع على بطلانها والنقصان منه، فالظاهر أيضا من مذهب المسلمين خلافه، وهو الأليق بالصحيح من مذهبنا وهو الذي نصره المرتضى رحمه الله، وهو الظاهر في الروايات غير أنه رويت روايات كثيرة، من جهة الخاصة والعامة، بنقصان كثير من آي القرآن، ونقل شيء منه من موضع إلى موضع، طريقها الآحاد التي لا توجب علماً ولا عملاً، والأولى الاعراض عنها، وترك التشاغل بها؛ لأنه يمكن تأويلها ولو صحت لما كان ذلك طعناً على ما هو موجود بين الدفتين، فإن ذلك معلوم صحته، لا يعترضه أحد من

الأمة ولا يدفعه، ورواياتنا متناصرة بالحث على قراءته والتمسك بما فيه، ورد ما يرد من اختلاف الاخبار في الفروع إليه.

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله رواية لا يدفعها أحد، أنه قال: «**اني مخلف فيكم الثقلين، ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض**» وهذا يدل على أنه موجود في كل عصر؛ لأنه لا يجوز ان يأمر بالتمسك بما لا نقدر على التمسك به، كما أن أهل البيت، ومن يجب اتباع قوله حاصل في كل وقت.

وإذا كان الموجود بيننا مجمعاً على صحته، فينبغي ان نتشاغل بتفسيره، وبيان معانيه ونترك ما سواه، واعلم أن الرواية ظاهرة في أخبار أصحابنا بأن تفسير القرآن لا يجوز إلا بالأثر الصحيح عن النبي صلى الله عليه وآله، وعن الأئمة عليهم السلام، الذين قولهم حجة كقول النبي صلى الله عليه وآله، وان القول فيه بالرأي لا يجوز.

وروى العامة ذلك عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «**مَن فسّر القرآن برأيه وأصاب الحق، وفقد أخطأ**» وكره جماعة من التابعين وفقهاء المدينة القول في القرآن بالرأي: كسعيد بن المسيب وعبيدة السلماني، ونافع، ومحمد بن القاسم، وسالم بن عبد الله، وغيرهم وروي عن عائشة أنها قالت: لم يكن النبي صلى الله عليه وآله يفسّر القرآن إلّا بعد أن يأتي به جبرائيل عليه السلام والذي نقول في ذلك: إنه لا يجوز أن يكون في كلام الله تعالى وكلام نبيه تناقض وتضاد، وقد قال الله تعالى: ﴿**إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا**﴾.

[التبيان في تفسير القرآن]

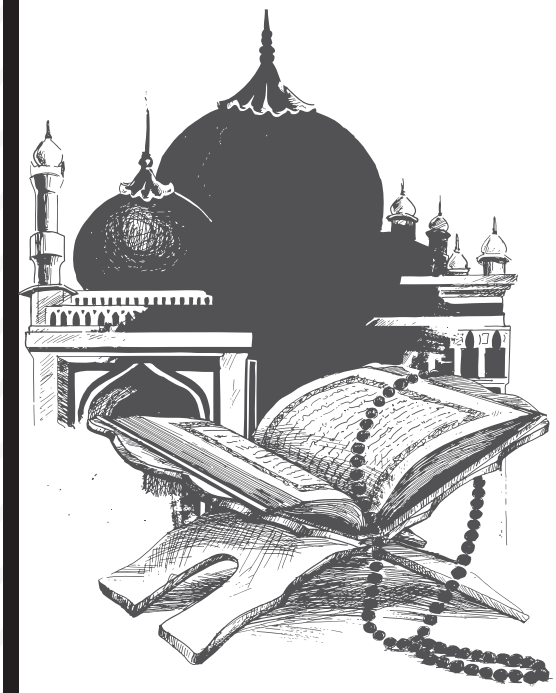

تفسير
العاجلة والآخرة

الشيخ فيض الله الكاشاني

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ﴾ النعمة الدنيوية مقصوراً عليها همّته، عجّلنا له فيها ما نشاء لمن نريد قيد المعجل والمعجل له بالمشيئة والإرادة؛ لأنه لا يجد كلُّ متمنٍّ ما يتمنّاه ولا كلّ أحد جميع ما يهواه وليعلم أنّ الأمر بالمشيئة ثمّ جعلنا له جهنّم يصليها مذموماً مدحوراً مطروداً من رحمة الله.

في المجمع عن النبي صلى الله عليه وآله معنى الآية: مَن كان يريد ثواب الدنيا بعمله افترضه الله عليه لا يريد به وجه الله والدار الآخرة عجّل له ما يشاء الله من عرض الدنيا، وليس له ثواب الآخرة، وذلك إن الله سبحانه يؤتيه ذلك ليستعين به على الطاعة فيستعمله في معصية الله فيعاقبه الله عليه.

﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ﴾ وسعى لَهَا سعيها حقّها من السعي، وهو الإتيان بما أمر به والانتهاء عما نهي عنه لا التقرب بما يخترعون بآرائهم، وفائدة اللام اعتبار النية والإخلاص وهو مؤمن إيماناً لا شرك فيه ولا تكذيب فأولئك كان سعيهم مشكوراً من الله مقبولاً عنده مثاباً عليه.

روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «**ومَن أراد الآخرة فليترك زينة الحياة الدنيا**».

[تفسير الصافي]

القرآن مصون من التحريف

العلّامة السيّد محمّد حسين الطباطبائيّ

تاريخ القرآن واضح بيّن من حين نزوله حتى هذا اليوم، كانت الآيات والسور دائرة على ألسنة المسلمين يتداولونها بينهم، وكلنا يعلم أنّ هذا القرآن الذي بأيدينا اليوم هو القرآن الذي نزل تدريجاً على الرسول قبل أربعة عشر قرناً.

فإذن لا يحتاج القرآن في ثبوته واعتباره إلى التاريخ مع وضوح تاريخه، لأن الكتاب الذي يدّعي أنه كلام الله تعالى ويستدل على دعواه بآياته ويتحدّى الجن والانس على أن يأتوا بمثله، لا يمكن لإثباته ونفي التغيير والتحريف عنه التثبت بالأدلة والشواهد أو تأييد شخص أو فئة لإثبات مدعاه.

نعم، أوضح دليل على أنّ القرآن الذي هو بأيدينا اليوم هو القرآن الذي نزل على النبي الكريم ولم يطرأ عليه أي تحريف او تغيير، ان الاوصاف التي ذكرها القرآن لنفسه موجودة في اليوم كما كان في السابق.

يقول القرآن: إنني نور وهداية وارشد الناس إلى الحق والحقيقة.

ويقول: إنني أبين ما يحتاج إليه الإنسان ويتفق مع فطرته السليمة.

ويقول: إنني كلام الله تعالى، ولو لم تصدقوا فليجتمع الانس والجن للإتيان بمثله، أو ليأتوا بمثل ما اتى به محمد الأُمي الذي لم يدرس طيلة حياته ولم يقل لهم مثل ما نطق به محمد، أو انظروا فيَّ هل تجدون اختلافاً في أسلوبي أو معارفي أو احكامي.

إنّ هذه الأوصاف والمميزات باقية في القرآن الكريم.

أمّا الارشاد إلى الحق والحقيقة، ففي القرآن الذي بأيدينا بيان تام للأسرار الكونية بأدق البراهين العقلية، وهو الملجأ الوحيد لدستور الحياة السعيدة الهانئة، ويدعو الإنسان بمنتهى الدقة إلى الايمان طالباً خيره وحسن مآله.

وأمّا بيان ما يحتاج إليه الإنسان في حياته، فإنّ القرآن بنظراته الصائبة جعل التوحيد الأساس الأصلي له، واستنتج بقية المعارف الاعتقادية منه ولم يغفل في هذا عن اصغر نكتة، ثم استنتج منه الاخلاق الفاضلة وبينها بطرق واضحة جلية، ثم بين أعمال الإنسان وأفعاله الفردية والاجتماعية وذكر وظائفه حسب ما تدلُّ عليه الفطرة الإنسانية، محيلاً التفاصيل الى السنة النبوية.

ومن مجموع الكتاب والسنة نستحصل على الدين الإسلامي بأبعاده البعيدة، الدين الذي حسب لكل الجهات الفردية والاجتماعية في كلّ الأزمان والعصور حسابها الدقيق المتقن وأعطى حكمها خاليا عن التضاد والتدافع في اجزائه ومواده.

الإسلام الدين الذي يعجز عن تصور فهرس مسائله اكبر حقوقي في العالم طيلة حياته.

وأمّا اعجاز القرآن في أسلوبه البياني، فان اسلوب القرآن البياني كان من سنخ اللغة العربية في عصرها الذهبي الذي كانت الأمة العربية تتمتع فيه بالفصاحة والبلاغة،

واسلوب القرآن كان شعلة وهاجة تسطع في ذلك العصر، والعرب فقدت الفصاحة والبلاغة في القرن الأول الهجري على إثر الفتوحات الإسلامية وخلط العرب بغيرهم من الاعاجم والبعيدين عن اللغة، واصبحت لغة التخاطب العربية كبقية اللغات فاقدة ذلك الاشراق البلاغي وتلك اللمعة المضيئة، ولكن اعجاز القرآن ليس في اسلوبه الخطابي اللفظي فقط، فانه يتحدّى الناس في أسلوبه اللفظي والمعنوي.

ومع ذلك فإن الذين لهم إلمام باللغة العربية شعرها ونثرها لا يمكنهم الشك في أن لغة القرآن لغة في منتهى العذوبة والفصاحة، تتحير فيها الأفهام ولا يمكن وصفها بالألسن. ليس القرآن بشعر ولا نثر، بل اسلوب خاص يجذب جذب الشعر الرفيع وهو سلس سلاسة النثر العالي، لو وضعت آية من آياته أو جملة من جمله في خطبة من خطب البلغاء أو صفحة من كتابة الفصحاء لأشرق كإشراق المصباح في الأرض المظلمة.

ومن الجهات المعنوية غير اللفظية احتفظ القرآن على اعجازه، فإن البرامج الإسلامية الواسعة الشاملة للمعارف الاعتقادية والأخلاقية والقوانين العملية الفردية والاجتماعية، والتي نجد أسسها وأصولها في القرآن الكريم خارجة عن نطاق قدرة الإنسان، وخاصة في انسان عاش كحياة النبي صلى الله عليه وآله وبيئته وأمته.

محال نزول كتاب كالقرآن على وتيرة واحدة ومتشابهة الاجزاء في مدة ثلاث وعشرين سنة في ظروف مختلفة واحوال متفاوتة، في الخوف والاضطراب والامن والسلامة، في الحرب والسلم، في الخلوة والوحدة والازدحام والاجتماع، في السفر والحضر... تنزل سورةً سورةً وآيةً آية ولا يوجد بينها اختلاف وتناقض وتهافت.

والخلاصة أنّ الأوصاف التي كانت متوفّرة في قرآن محمد كلّها موجودة في هذا القرآن بلا تغيير ولا تحريف ولا تبديل، بالإضافة إلى أن الله

تعالى اخبر أن القرآن مصون عن كلّ تغيير، فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[1].

وقال: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ۝ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[2].

بمقتضى هذه الآيات، فإن القرآن مصون عن كلّ ما يخدش بكرامته والله تعالى هو الحافظ له، وخاصة أنه الهادي إلى المعارف الحقّة فيجب أن يكون مصوناً كذلك... ولأن الله تعالى وعد بحفظه نجده محفوظاً عن كلّ عيب ونقص بالرغم من مرور أربعة عشر قرناً من نزوله وترصد ملايين الأعداء الالداء للحط من كرامته، وهو الكتاب السماوي الوحيد الذي دام هذا الزمن الطويل ولم يطرأ عليه التغيير والتبديل.

[القرآن في الإسلام]

(١) سور الحجر: ٩.

(٢) سورة فصلت: ٤١ ـ ٤٢.

تهاجم الزمخشري في تفسيره على أهل الحديث

الشيخ العلامة محمّد هادي معرفة

لم يقصر الزمخشري في تهاجمه على خصومه من أهل الحديث، فلم يدع فرصة أثناء تفسيره إلّا وقذفهم بقذائف لاذعة وقرعهم بمقامع دامغة، قال الذهبي: وإن المتتبع لما في (الكشاف) من الجدل المذهبي، ليجد أنّ الزمخشري قد مزجه في الغالب بشيء من المبالغة في السخرية والاستهزاء بأهل الحديث، فهو لا يكاد يدع فرصة تمر بدون أن يحقرهم ويرميهم بالأوصاف المقذعة، فتارة يسميهم المجبرة، وأخرى يسميهم الحشوية، وثالثة يسميهم المشبهة، وأحياناً يسميهم القدرية، تلك التسمية التي أطلقها أهل الحديث على منكري القدر، فرماهم بها الزمخشري؛ لأنهم يؤمنون بالقدر كما جعل حديث الرسول صلى الله عليه وآله الذي حكم فيه على القدرية أنهم مجوس هذه الأمة، منصباً عليهم، وذلك حيث قال عند تفسيره قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ (فصلت: ١٧): ولو لم يكن في القرآن حجة على القدرية الذين هم مجوس هذه الأمة، بشهادة نبيها صلى الله عليه وآله -وكفى به شاهداً - إلا هذه الآية لكفى بها حجة[1].

كما سماهم بهذا الاسم ورماهم

(١) الكشاف: ج٤، ص١٩٤.

بأنهم يحيون لياليهم في تحمل الفاحشة، ينسبونها الى الله تعالى، حيث قال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾(الشمس: ٩، ١٠): وأما قول من زعم أن الضمير في (زكى) و(دسى) لله تعالى، وأن تأنيث الضمير الراجع الى (من) لأنه في معنى النفس، فمن تعكيس القدرية الذين يوركون[١] على الله قدراً هو بريء منه ومتعال عنه، ويحيون لياليهم في تمحل فاحشة ينسبونها إليه[٢].

والظاهرة العجيبة في خصومة الزمخشري، أنه يحرص كل الحرص على أن يحول الآيات القرآنية التي وردت في حق الكفار، الى ناحية مخالفيه في العقيدة من أهل الحديث، ففي سورة آل عمران حيث يقول تعالى:﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ (آل عمران: ١٠٥)، نجد الزمخشري بعد ما يعترف بأن الآية واردة في حق اليهود والنصارى يجّوز أن تكون واردة في حق مبتدعي هذه الأمة، وينص على أنهم (المشبهة) و(المجبرة) و(الحشوية) وأشباههم[٣].

وفي سورة يونس، حيث يقول تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ (يونس: ٣٩)، يقول: بل سارعوا الى التكذيب بالقرآن وفاجؤوه في بديهة السماع قبل أن يفقهوه ويعلموا كنه أمره، وقبل أن يتدبروه ويقفوا على تأويله ومعانيه، وذلك لفرط نفورهم عما يخالف دينهم، وشرادهم عن مفارقة دين آبائهم، كالناشئ على التقليد من (الحشوية) اذا أحس بكلمة لا توافق ما نشأ عليه وألفه وإن كانت أضواء من الشمس في ظهور الصحة وبيان الاستقامة أنكرها في أول وهلة، واشمأز منها قبل أن يحس إدراكها بحاسة سمعه، من غير فكر في صحة أو فساد؛ لأنه لم يشعر قلبه إلا صحة مذهبه وفساد ما عداه من المذاهب[٤].

(١) ورك فلان ذنبه على غيره، إذا قرفه به، أي اتهمه به ظلماً.
(٢) الكشاف: ج٤، ص٧٦٠.
(٣) الكشاف: ج١، ص٣٩٩.
(٤) الكشاف: ج٢، ص٣٤٧-٣٤٨.

ولقد أظهر الزمخشري تعصباً قوياً لمذهبه، الى حد جعله يُخرج خصومه السُّنيين من دين الله، وهو الإسلام، وذلك حيث يقول عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَـهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ﴾ (آل عمران: ١٨): فإن قلت: ما المراد بأُولي العلم الذين عظمهم هذا التعظيم، حيث جمعهم معه ومع الملائكة في الشهادة على وحدانيته وعدله؟

قلت: هم الذين يثبتون وحدانيته وعدله بالحجج الساطعة والبراهين القاطعة، وهم علما العدل والتوحيد - يريد أهل مذهبه -.

فإن قلت: ما فائدة هذا التوكيد يعني في قوله: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ﴾ (آل عمران: ١٩)؟

قلت: فائدته أن قوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ هو توحيد، وقوله: ﴿قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ (آل عمران: ١٨) تعديل، فإذا أردفه بقوله: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ﴾ قد آذن أن الإسلام هو العدل والتوحيد، وهو الدين عند الله، وما عداه فليس عنده في شيء من الدين، وفيه: أن من ذهب الى تشبيه، أو ما يؤدي إليه كإجازة الرؤية، أو ذهب الى الجبر الذي هو محض الجور، لم يكن على دين الله الذي هو الإسلام، وهذا بين جلي كما ترى[1].

وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ (الأعراف: ١٤٣)، قال: «ثم تعجب من المتسمين بالإسلام، المتسمين بأهل السنة والجماعة، كيف اتخذوا هذه العظيمة مذهباً، ولا يغرنك تسترهم بالبلكفة[2] فإنه من منصوبات أشياخهم! والقول ما قال بعض العدلية فيهم:

لجماعةٌ سمّوا هواهم سُنّةً
وجماعةٌ حُمُرٌ لعمري موكفة[3]

(١) الكشاف، ج١، ص٣٤٤-٢٤٥؛ راجع: التفسير والمفسرون، ج١، ص٤٦٥-٤٦٧.

(٢) لأنهم قالوا: إنه يُرى بلا كيف، أي لا تسأل عن كيفية رؤية الله تعالى، والبلكفة مخففة ذلك، وعد الزمخشري ذلك ذريعة للتخلص من مأزق القول بالجسمية والقول بالجهة، فهو من منصوبات أشياخهم، أي شبكات يتصيدون بها الضعفاء.

(٣) أي موضوع عليها الإكاف وهي البرذعة. وهي بمنزلة السرج للفرس.

قد شبّهوه بخلقه وتخوّفوا
شَنعَ الورى فتستّروا بالبلكفة.

وحمل الآية على أنها ترجمة عن مقترح قومه وحكاية لقولهم.

وتفسير آخر، وهو: أن يريد بقوله: ﴿أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ (الأعراف: ١٤٣) عرفني نفسك تعريفاً واضحاً جلياً، كأنها إراءة في جلائها بآية مثل آيات القيامة التي تضطر الخلق الى معرفتك، أنظر إليك: أعرفك معرفة اضطرار، كأني أنظر إليك، كما جاء في الحديث: «سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر» بمعنى: ستعرفونه معرفة جلية هي في الجلاء كإبصاركم القمر اذا امتلأ واستوى[1].

وقد أثار ذلك ثورة أحمد الإسكندري، فجعل يقابل هجاءه أهل السنة بهجاء أهل العدل، قال: «ولولا الاستناد بحسان بن ثابت الأنصاري صاحب رسول الله ﷺ وشاعره، والمنافح عنه وروح القدس معه، لقلنا لهؤلاء المتلقبين بالعدلية وبالناجين سلاماً، ولكن كما نافح حسان عن رسول الله ﷺ أعداءه، فنحن ننافح عن اصحاب سنة رسول الله ﷺ أعداءهم فنقول:

وجماعة كفروا برؤية ربهم
حقاً ووعد الله ما لن يخلفه.

وتلقّبوا عدلية قلنا: أجل
عدلوا بربهم فحسبهمو سفه.

وتلقبوا الناجين، كلا إنهم
إن لم يكونوا في لظى فعلى شفه

[التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب]

(١) تفسير الكشاف: ج٢، ص١٥٢-١٥٦.

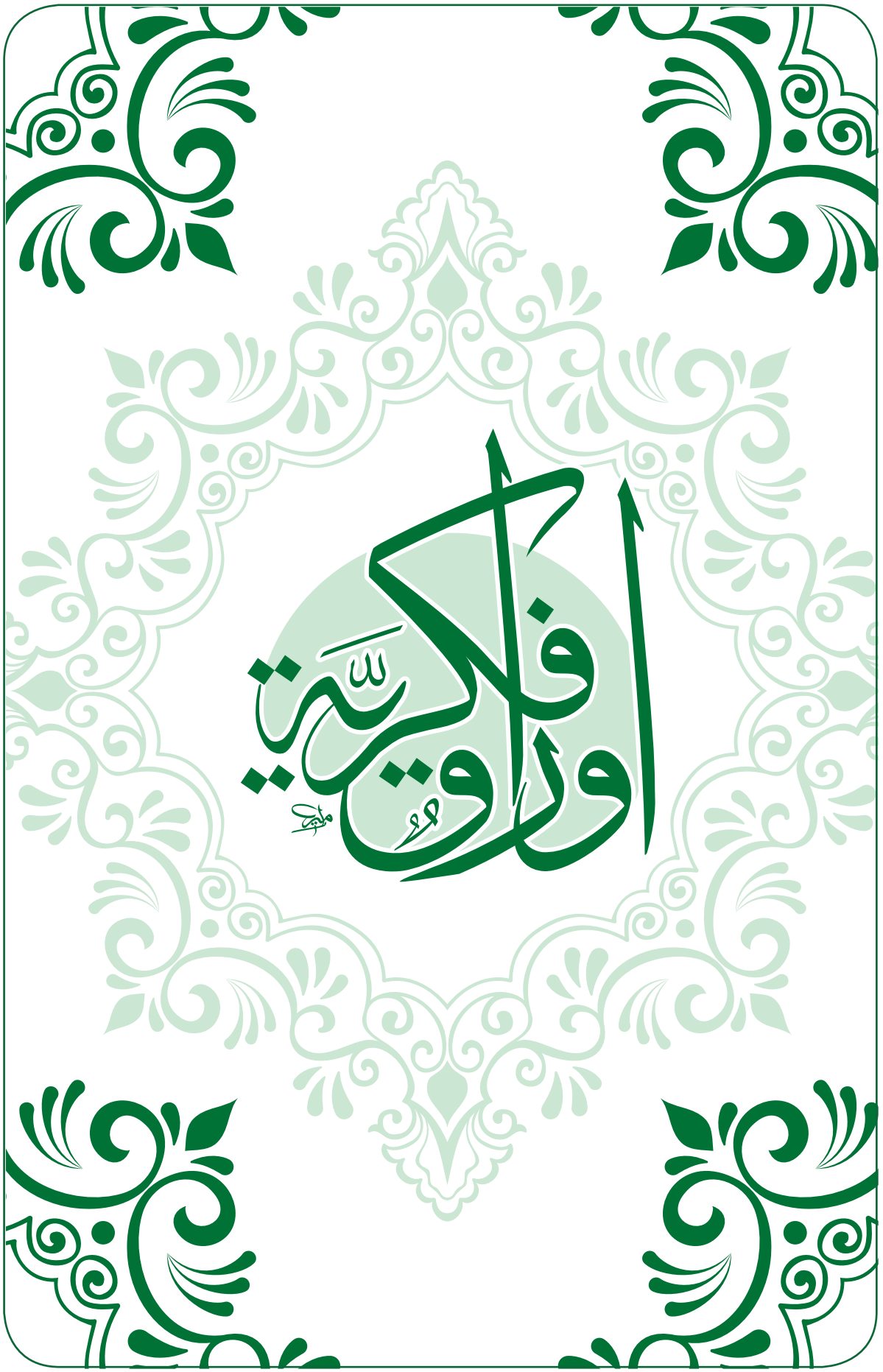
اوراق قرآنية

الاعتقاد في الموت

الشيخ الصدوق

قيل لأمير المؤمنين علي عليه السلام: صف لنا الموت؟

فقال عليه السلام: «على الخبير سقطتم، هو أحد ثلاثة أمور يرد عليه: إما بشارة بنعيم الأبد، وإما بشارة بعذاب الأبد، وإما بتحزين وتهويل وأمر مبهم لا يدري من أي الفرق هو.

أما ولينا والمطيع لأمرنا فهو المبشَّر بنعيم الأبد.

وأما عدونا والمخالف لأمرنا، فهو المبشَّر بعذاب الأبد.

وأما المبهم أمره الذي لا يدري ما حاله، فهو المؤمن المسرف على نفسه لا يدري ما يؤول حاله يأتيه الخبر مبهماً مخوفاً ثم لن يسويه الله بأعدائنا، ويخرجه من النار بشفاعتنا.

فاعلموا وأطيعوا ولا تتكلوا ولا تستصغروا عقوبة الله، فإن من المسرفين من لا يلحقه شفاعتنا إلا بعد عذاب ثلاثمائة ألف سنة»[1].

وسئل الحسن بن علي عليه السلام، ما الموت الذي جهلوه؟

فقال عليه السلام: «أعظم سرور يرد على المؤمنين إذ نقلوا عن دار النكد إلى نعيم الأبد، وأعظم ثبور يرد على الكافرين إذ نقلوا عن جنتهم إلى نار لا تبيد ولا تنفد»[2].

ولما اشتد الأمر بالحسين بن علي ابن أبي طالب عليهم السلام: نظر إليه من كان معه فإذا هو بخلافهم؛ لأنهم إذا اشتد بهم الأمر تغيرت ألوانهم، وارتعدت فرائصهم، ووجلت قلوبهم، ووجبت جنوبهم. وكان الحسين عليه السلام وبعض من معه من خواصه تشرق ألوانهم، وتهدأ جوارحهم، وتسكن نفوسهم.

فقال بعضهم لبعض: انظروا إليه لا يبالي بالموت.

فقال لهم الحسين عليه السلام: «صبرا بني الكرام، فما الموت إلا قنطرة تعبر بكم عن البؤس والضر إلى الجنان الواسعة والنعم الدائمة، فأيكم يكره أن ينتقل من سجن إلى قصر، وهؤلاء أعداؤكم كمن ينتقل من قصر إلى سجن وعذاب أليم: إن أبي حدثني عن رسول الله: إن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، والموت جسر هؤلاء إلى جناتهم، وجسر هؤلاء إلى جحيمهم، ما كذبت ولا كذبت»[3].

وقيل لعلي بن الحسين: ما الموت؟

فقال عليه السلام: «للمؤمن كنزع ثياب وسخة قملة، وفك قيود وأغلال ثقيلة، والاستبدال بأفخر الثياب وأطيبها روائح، وأوطأ المراكب، وآنس المنازل.

(١) رواه مسنداً المصنف في معاني الأخبار: ٢٨٨ باب معنى الموت ح ٢.
(٢) المصدر السابق، ح ٣.
(٣) رواه المصنف في معاني الأخبار : ٢٨٨ باب معنى الموت ح ٣.

وللكافر كخلع ثياب فاخرة، والنقل عن منازل أنيسة، والاستبدال بأوسخ الثياب وأخشنها، وأوحش المنازل، وأعظم العذاب».

وقيل لمحمد بن علي عليه السلام: ما الموت؟

فقال: «**هو النوم الذي يأتيكم في كل ليلة، إلا أنه طويل مدته لا ينتبه منه إلا يوم القيامة، فمنهم من رأى في منامه من أصناف الفرح ما لا يقادر قدره، ومنهم من رأى في نومه من أصناف الأهوال ما لا يقادر قدره، فكيف حال من فرح في النوم ووجل فيه! هذا هو الموت فاستعدوا له**»[1].

وقيل للصادق عليه السلام: صف لنا الموت؟

فقال: «**هو للمؤمنين كأطيب ريح يشمه فينعس لطيبه فينقطع التعب والألم كله عنه، وللكافر كلسع الأفاعي وكلدغ العقارب وأشد**».

قيل: فإن قوماً يقولون هو أشد من نشر بالمناشير، وقرض بالمقاريض، ورضخ بالحجارة، وتدوير قطب الأرحية في الأحداق؟

فقال: «**كذلك هو على بعض الكافرين والفاجرين، ألا ترون منهم من يعاين تلك الشدائد فذلك الذي هو أشد من هذا (إلا من عذاب الآخرة فإنه أشد) من عذاب الدنيا**».

قيل: فما لنا نرى كافراً يسهل عليه النزع فينطفئ، وهو يتحدث ويضحك ويتكلم، وفي المؤمنين من يكون أيضا كذلك، وفي المؤمنين والكافرين من يقاسي عند سكرات الموت هذه الشدائد؟

قال عليه السلام: «**ما كان من راحة هناك للمؤمنين فهو عاجل ثوابه، وما كان من شدة فهو تمحيصه من ذنوبه، ليرد إلى الآخرة نقياً نظيفاً مستحقاً لثواب الله ليس له مانع دونه، وما كان من سهولة هناك على الكافرين فليوفى أجر حسناته في الدنيا، ليرد الآخرة وليس له إلا ما يوجب عليه العذاب، وما كان من شدة على الكافر هناك فهو**

(١) رواه المصنف في معاني الأخبار: ٢٨٩ باب معنى الموت ح ٥ مع اختلاف في بعض الجمل.

ابتداء عقاب الله عند نفاد حسناته، ذلكم بأن الله عدل لا يجوز»[1].

ودخل موسى بن جعفر عليه السلام على رجل قد غرق في سكرات الموت وهو لا يجيب داعياً، فقالوا له: يا بن رسول الله، وددنا لو عرفنا كيف حال صاحبنا، وكيف يموت؟ فقال: «**إن الموت هو المصفاة: يصفي المؤمنين من ذنوبهم، فيكون آخر ألم يصيبهم كفارة آخر وزر عليهم، ويصفي الكافرين من حسناتهم، فتكون آخر لذة أو نعمة أو رحمة تلحقهم هو آخر ثواب حسنة تكون لهم، أما صاحبكم فقد نخل من الذنوب نخلا وصفي من الآثام تصفية، وخلص حتى نقى كما ينقى ثوب من الوسخ، وصلح لمعاشرتنا أهل البيت في دارنا دار الأبد**»[2].

ومرض رجل من أصحاب الرضا عليه السلام فعاده، فقال: «**كيف تجدك؟**» فقال: لقيت الموت بعدك، يريد به ما لقي من شدة مرضه.

فقال: «**كيف لقيته؟**» فقال: أليماً شديداً.

فقال: «**ما لقيته، ولكن لقيت ما ينذرك به، ويعرفك بعض حاله. إنما الناس رجلان: مستريح بالموت، ومستراح منه فجدد الإيمان بالله**[3] **وبالولاية تكن مستريحا**». ففعل الرجل ذلك[4] والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة.

وقيل لمحمد بن علي بن موسى عليهما السلام: ما بال هؤلاء المسلمين يكرهون الموت؟.

فقال: «**لأنهم جهلوه فكرهوه، ولو عرفوه وكانوا من أولياء الله حقاً لأحبوه، ولعلموا أن الآخرة خير لهم من الدنيا**».

ثم قال: «يا أبا عبد الله، ما بال الصبي والمجنون يمتنع من الدواء المنقي لبدنه والنافي للألم عنه؟». فقال عليه السلام: **لجهلهم بنفع الدواء**.

(١) رواه مسنداً المصنف في معاني الأخبار: ٢٨٧ باب معنى الموت ح ١، وعلل الشرائع: ٢٩٨ ح ٢، ومنهما ما أثبتناه بين المعقوفين.

(٢) رواه مسنداً المصنف في معاني الأخبار: ٢٨٩ باب معنى الموت ح ٦.

(٣) في ج، وهامش ر زيادة: وبالنبوة.

(٤) رواه مسنداً المنصف في معاني الأخبار: ٢٨٩ باب معنى الموت ح ٧.

فقال: والذي بعث محمداً بالحق نبياً، إن من قد استعد للموت حقَّ الاستعداد فهو أنفع لهم من هذا الدواء لهذا المتعالج، أما إنهم لو علموا ما يؤدي إليه الموت من النعم، لاستدعوه وأحبوه أشد مما يستدعي العاقل الحازم الدواء، لدفع الآفات واجتلاب السلامات»[1].

ودخل علي بن محمد عليهما السلام على مريض من أصحابه وهو يبكي ويجزع من الموت، فقال له: «يا عبد الله، تخاف من الموت لأنك لا تعرفه، أرأيتك إذا اتسخت ثيابك وتقذرت، وتأذيت بما عليك من الوسخ والقذرة، وأصابك قروح وجرب، وعلمت أن الغسل في حمام يزيل عنك ذلك كله، أما تريد أن تدخله فتغسل فيزول ذلك عنك، أو ما تكره أن لا تدخله فيبقى ذلك عليك؟ قال: بلى يا بن رسول الله.

قال: «فذلك الموت هو ذلك الحمام، وهو آخر ما بقي عليك من تمحيص ذنوبك وتنقيتك من سيئاتك، فإذا أنت وردت عليه وجاوزته، فقد نجوت من كل غم وهم وأذى ووصلت إلى سرور وفرح»، فسكن الرجل ونشط واستسلم وغمض عين نفسه ومضى لسبيله[2].

وسئل الحسن بن علي عليهما السلام عن الموت، ما هو؟ فقال: «هو التصديق بما لا يكون، إن أبي حدثني عن أبيه عن جده عن الصادق عليه السلام أنه قال: إن المؤمن إذا مات لم يكن ميتا، وإن الكافر هو الميت، إن الله عز وجل يقول: ﴿يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَيُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ﴾ يعني المؤمن من الكافر، والكافر من المؤمن»[3].

وجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله، فقال: يا رسول الله، ما بالي لا أحب الموت؟ قال: «ألك مال؟». قال: نعم قال «قدمته؟». قال: لا. قال: «فمن ثمن لا تحب الموت»[4].

(١) رواه مسنداً المصنف في معاني الأخبار: ٢٩٠ باب معنى الموت ح ٨.

(٢) رواه مسنداً المصنف في معاني الأخبار: ٢٩٠ باب معنى الموت ح ٩.

(٣) رواه المصنف في معاني الأخبار: ٢٩٠ باب معنى الموت ح ٩. والآية الكريمة من سورة يونس ١٠: ٣١.

(٤) رواه مسنداً في الخصال ١: ١٣ باب الواحد ح ٤٧.

وقال رجل لأبي ذر رحمة الله عليه: ما لنا نكره الموت؟ فقال: لأنكم عمرتم الدنيا وخربتم الآخرة، فتكرهون أن تنقلوا من عمران إلى خراب.

وقيل له: كيف ترى قدومنا على الله؟ قال: أما المحسن فكالغائب يقدم على أهله، وأما المسيء فكالآبق يقدم على مولاه.

قيل: فيكف ترى حالنا عند الله؟ فقال: اعرضوا أعمالكم على كتاب الله، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۞ وَإِنَّ الفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾.

قال الرجل: فأين رحمة الله؟ قال: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ المُحْسِنِينَ﴾[1].

[الاعتقادات]

(١) النصوص المروية عن أبي ذر - رضوان الله عليه - رواها مسندة الكليني في الكافي ٢: ٣٣١ باب محاسبة العمل ح ٢٠، وفي هامش م، ر: فكالآبق يقدم على مولاه وهو منه خائف. والآيتان على التوالي في: الانفطار: ١٣- ١٤، الأعراف: ٥٦.

تفسير أسماء الله الحسنى

الشيخ تقي الدين الكفعمي

العزيز: الغالب القاهر، أو ما يمتنع الوصول إليه، قاله الشهيد في قواعده[1].

وقال الشيخ علي بن يوسف بن عبد الجليل[2] في كتابه منتهى السَّؤول في شرح الفصول: العزيز هو الحظير الذي يقلّ وجود مثله، وتشتدُّ الحاجة إليه، ويصعب الوصول إليه، فليس العزيز المطلق إلّا هو تعالى.

وقال صاحب العدّة: العزيز المنيع الذي لا يُغلب، ويقال: مَن عزَّ بزَّ، أي: من غلب سلب، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴾[3] أي: غَلَّبني في محاورة الكلام، وقد يقال العزيز للملك، ومنه قوله تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا الْعَزِيزُ ﴾[4] أي: يا أيها الملك[5]. والعزيز أيضاً: الذي لا يعادله شيء، والذي لا مثل له ولا نظير.

الجبّار: القهار، أو المتكبر، أو المتسلّط، أو الذي جبر مفاقر الخلق وكفاهم أسباب المعاش والرزق، أو الذي تنفذ مشيته على سبيل الإجبار في كل أحد ولا تنفذ فيه مشية أحد، ويقال: الجبّار العالي فوق خلقه، ويقال للنخل الذي طال وفات اليد: جبّار.

---

(١) القواعد والفوائد ٢: ١٦٧.

(٢) ظهير الدين علي بن يوسف بن عبد الجليل النيلي، عالم فاضل كامل، من أجلة متكلمي الإمامية وفقهائهم، يروي عن الشيخ فخر الدين ولد العلّامة، يروي عنه ابن فهد الحلي، له عدة مصنفات، منها: منتهى السَّؤول في شرح الفصول، وهو شرح على فصول خواجه نصير الدين الطوسي في أُصول الدين، وهو شرحٌ بالقول يعني قوله قوله. رياض العلماء ٤: ٢٩٣، الذريعة ٢٣: ١٠.

(٣) ص ٣٨: ٢٣.

(٤) يوسف: ٨٨.

(٥) عدّة الداعي: ٣٠٥.

المتكبّر: ذو الكبرياء، وهو: الملك، أو ما يرى الملك حقيراً بالنسبة إلى عظمته، قاله الشهيد[1].

وقال صاحب العدّة: المتكبّر المتعالي عن صفات الخلق، ويقال: المتكبّر على عتاة خلقه، وهو مأخوذ من الكبرياء، وهم اسم التكبّر والتعظّم[2].

الخالق: هو المبدئ للخلق والمخترع لهم على غير مثال سبق، قاله البادرائي في جواهره.

وقال الشهيد: الخالق، المقدّر[3].

قلت: وهو حسن، إذ قد يراد بالخلق التقدير، ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنِّي أَخلقُ لكم منَ الطينِ كهيئةِ الطيرِ ﴾[4] أي: أُقدّر.

البارئ: الخالق، والبرية: الخلق، وبارئ البرايا أي: خالق الخلائق.

المصوّر: الذي أنشأ خلقه على صور مختلفة ليتعارفوا بها، قال تعالى: ﴿ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ﴾[5].

وقال الغزّالي في تفسير أسماء الله تعالى الحسنى: قد يظنُّ أنَّ الخالق والبارئ والمصور ألفاظ مترادفة، وأن الكلّ يرجع إلى الخلق والاختراع، وليست كذلك، بل كل ما يخرج من العدم إلى الوجود مفتقر إلى تقديره أولاً، وإلى إيجاده على وفق التقدير ثانياً، وإلى التصوير بعد الإيجاد ثالثاً، والله تعالى خالق من حيث أنّه مقدر، وبارئ من حيث أنه مخترع موجد، ومصوّر من حيث أنه مرتب صور المخترعات أحسن ترتيب، وهذا كالبناء مثلاً، فإنه يحتاج إلى مقدِّر يقدِّر ما لابدَّ منه: من الخشب، واللبن، ومساحة الأرض، وعدد الأبنية وطولها وعرضها، وهذا يتولَّاه المهندس فيرسمه ويصوِّره، ثم يحتاج إلى بنَّاء يتولَّى الأعمال التي عندها تحدث أُصول الأبنية، ثم يحتاج إلى مزيِّن ينقش ظاهره ويزيِّن صورته، فيتولاه غير البناء، هذه هي العادة في التقدير في البناء والتصوير، وليس كذلك في أفعاله تعالى، بل هو

(١) القواعد والفوائد ٢: ١٦٧.
(٢) عدّة الداعي: ٣٠٥، باختلاف.
(٣) القواعد والفوائد ٢: ١٦٧.
(٤) آل عمران: ٤٩.
(٥) غافر: ٦٤، التغابن: ٣.

المقدِّر والموجد والصانع، فهو الخالق والبارئ والمصور[1].

الغفَّار: هو الذي أظهر الجميل وستر القبيح، قاله الشهيد[2].

وقال البادرائي: هو الذي يغفر ذنوب عباده، وكلّما تكررت التوبة من المذنب تكررت منه تعالى المغفرة، لقوله: ﴿وإني لغفّارٌ لِمن تابَ﴾[3] الآية. والغفر في اللغة: الستر والتغطية، فالغفّار: الستّار لذنوب عباده.

القهّار القاهر: بمعنى، وهو: الذي قهر الجبابرة وقهر العباد بالموت، غير أنّ قهّاراً وغفّاراً وجبّاراً ووهّاباً ورزّاقاً وفتاحاً ونحو ذلك من أبنية المبالغة، لأنّ العرب قد بنت مثال من كرر الفعل على فعّال، ولهذا يقولون لكثير السؤال: سآل وسآلة.

قال:

سَآلَةٌ للفتى ما ليس في يده
ذهّابة بعقول القوم والمالِ

وكذا ما بني على (فَعْلان وفَعِيل) كرحمن ورحيم، إلّا أن (فعلان) أبلغ من فعيل، وبنت مثال من بالغ في الأمر وكان قوياً عليه على فعول، كصبور وشكور، وبنت مثال من فعل الشيء مرّة على فاعل، نحو سائل وقاتل، وبنت مثال من اعتاد الفعل على مِفعال، مثل امرأة مذكار إذا كان من عادتها أن تلد الذكور، ومئناث إذا كان من عادتها أن تلد الإناث، ومعقاب إذا كان من عادتها أن تلد نوبة ذكراً ونوبة أُنثى، ورجل منعال ومفضال إذا كان ذلك من عادته.

الوهّاب: هو من أبنية المبالغة كما مرّ آنفاً، وهو الذي يجود بالعطايا التي لا تفنى، وكّل من وهب شيئاً من أعراض الدنيا فهو واهب ولا يسمّى وهّاباً، بل الوهّاب من تصرّفت مواهبه في أنواع العطايا ودامت.

[المقام الأسنى في تفسير الأسماء الحسنى]

(١) المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى: ١٨.
(٢) القواعد والفوائد ٢: ١٦٨.
(٣) طه: ٨٢.

عدم جواز التقليد في الاعتقادات

الشيخ الفقيه محمد بن الحسن المعروف بالحر العاملي

عدم جواز التقليد في الاعتقادات وأخذها عن غير النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمة الهداة عليهم أفضل الصلوات والتسليمات.

أقول: يمكن الاستدلال على ذلك بقوله تعالى: ﴿ قال الَّذِين لا يَعْلَمُون مِثْل قَوْلِهِم فَالله يَحْكُم بَيْنَهُم يَوْم الْقِيامَةِ فِيما كانُوا فِيه يَخْتَلِفُون ﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿ قُل هاتُوا بُرْهانَكُم إِن كُنْتُم صادِقِين ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿ ولَن يَنْفَعَكُم الْيَوْم إِذْ ظَلَمْتُم أَنَّكُم فِي الْعَذاب مُشْتَرِكُون ﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿ وإِذا قِيل لَهُم اتَّبِعُوا ما أَنْزَل الله قالُوا بَل نَتَّبِع ما أَلْفَيْنا عَلَيْه آباءَنا أَولَوْ كان آباؤُهُم لا يَعْقِلُون شَيْئاً ولا

(١) سورة البقرة: ١١٣.

(٢) سورة البقرة: ١١١.

(٣) سورة الزخرف: ٣٩.

يَهْتَدُون ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِين اتُّبِعُوا مِن الَّذِين اتَّبَعُوا ورَأَوُا الْعَذاب وتَقَطَّعَت بِهِم الْأَسْباب وقال الَّذِين اتَّبَعُوا لَوْ أَن لَنا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُم كَما تَبَرَّؤُا مِنَّا كَذلِك يُرِيهِم الله أَعْمالَهُم حَسَرات عَلَيْهِم وما هُم بِخارِجِين مِن النَّارِ ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿ وإِذا قِيل لَهُم تَعالَوْا إِلى ما أَنْزَل الله وإِلَى الرَّسُول قالُوا حَسْبُنا ما وَجَدْنا عَلَيْه آباءَنا أَولَوْ كان آباؤُهُم لا يَعْلَمُون شَيْئاً ولا يَهْتَدُون ﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿ وإِن تُطِع أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْض يُضِلُّوك عَن سَبِيل الله إِن يَتَّبِعُون إِلَّا الظَّن ﴾[4].

وقوله تعالى: ﴿ وإِن كَثِيراً لَيُضِلُّون بِأَهْوائِهِم بِغَيْرِ عِلْم إِن رَبَّك هُوَ أَعْلَم بِالْمُعْتَدِين ﴾[5]. وقوله تعالى: ﴿ ثُم جَعَلْناك عَلى شَرِيعَةٍ مِن الْأَمْرِ فَاتَّبِعْها ولا تَتَّبِع أَهْواءَ الَّذِين لا يَعْلَمُون ﴾[6].

قوله تعالى: ﴿ وإِذا فَعَلُوا فاحِشَةً قالُوا وَجَدْنا عَلَيْها آباءَنا ﴾[7]. وقوله تعالى: ﴿ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَق أَحَق أَن يُتَّبَع أَمَّن لا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدى فَما لَكُم كَيْف تَحْكُمُون ﴾[8].

﴿ وكَذلِك ما أَرْسَلْنا مِن قَبْلِك فِي قَرْيَةٍ مِن نَذِيرٍ إِلَّا قال مُتْرَفُوها إِنَّا وَجَدْنا آباءَنا عَلى أُمَّةٍ وإِنَّا عَلى آثارِهِم مُقْتَدُون ﴾[9] وغير ذلك من الآيات الكثيرة.

١ - وروى الشيخ أبو جعفر محمد ابن علي بن الحسين بن بابويه في كتاب (معاني الأخبار) عن أبيه عن سعد بن عبد الله عن أحمد بن أبي عبد الله عن أبيه بإسناده يرفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام أنه قال لرجل من أصحابه: «لا تكونن إمّعة تقول: أنا مع الناس وأنا كواحد من الناس»[10].

٢ - وعن محمد بن علي ماجيلويه

(١) سورة البقرة: ١٧٠.
(٢) سورة البقرة: ١٦٧.
(٣) سورة المائدة: ١٠٤.
(٤) سورة الأنعام: ١١٦.
(٥) سورة الأنعام: ١١٩.
(٦) سورة الجاثية: ١٨.
(٧) سورة الأعراف: ٢٨.
(٨) سورة يونس: ٣٥.
(٩) سورة الزخرف: ٢٣.
(١٠) معاني الأخبار: ٢٦٦.

عن عمه محمد أبي القاسم عن محمد بن علي الكوفي عن حسين بن أيوب بن أبي غفيلة الصيرفي عن كرام الخثعمي عن أبي حمزة الثمالي قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «**إياك والرئاسة، وإياك أن تطأ أعقاب الرجال**، فقلت: جعلت فداك أما الرئاسة فقد عرفتها، وأما أن أطأ أعقاب الرجال فما نلت ما في يدي إلا مما وطئت أعقاب الرجال، فقال: **ليس حيث تذهب، إياك أن تنصب رجلاً دون الحجة فتصدقه في كل ما قال**»[1].

٣ - وروى أحمد بن محمد البرقي في المحاسن عن علي بن عيسى القاساني عن أبي مسعود الميسري رفعه قال: قال المسيح: «**خذوا الحق من أهل الباطل، ولا تأخذوا الباطل من أهل الحق، كونوا نقاد الكلام، فكم من ضلالة زخرفت بآية من كتاب الله كما زخرف الدرهم من نحاس بالفضة الموهة، النظر إلى ذلك سواء والبصراء به خبراء**»[2].

٤ - وروى الشيخ الجليل محمد ابن إبراهيم النعماني في كتاب الغيبة قال: روي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «**من دخل في هذا الدين بالرجال أخرجه منه الرجال كما أدخلوه فيه، ومن دخل فيه بالكتاب والسنة زالت الجبال قبل أن يزول**»، ورواه الكليني أيضا مرسلاً[3].

٥ - وعن سلام بن محمد عن أحمد بن محمد بن داود وعن علي بن الحسين بن بابويه عن سعد بن عبد الله عن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب عن المفضل بن زائدة عن المفضل بن عمر قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «**من دان الله بغير سماع من صادق ألزمه الله التيه إلى الفناء، ومن ادعى سماعا من غير الباب الذي فتحه الله لخلقه فهو مشرك، وذلك الباب هو الأمين المأمون على سر الله المكنون**».

[إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات]

(١) الكافي: ٢ / ٢٩٨ ح ٥.
(٢) محاسن البرقي: ١ / ٢٣٠ ح ١٦٩.
(٣) بحار الأنوار: ٢ / ١٠٥ ح ٦٧.

بيان أصول الدين

آية الله العظمى الشيخ وحيد الخراساني دام الله ظله

الطرق للوصول إلى الإيمان بالله تعالى متعددة:

أما لأهل الله تعالى فالدليل عليه والوسيلة إلى معرفته هو سبحانه ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[1]، «يا من دل على ذاته بذاته»[2]، «بك عرفتك وأنت دللتني عليك»[3].

وأما لغيرهم فنشير إلى عدة طرق رعاية للاختصار:

الطريق الأول:

إذا نظر الإنسان إلى نفسه وما يصل إليه إدراكه، ولاحظ أجزاءه وذراته، وجد أن عدم أي جزء منه ليس بمحال، وأنه بذاته ليس بضروري الوجود ولا بضروري العدم، وكل ما أمكن وجوده وعدمه فهو محتاج إلى سبب يوجده، نظير كفتي الميزان المتساويتين، لا يمكن أن ترجح إحداهما على الأخرى إلا بعامل

(١) سورة فصلت: ٥٣.

(٢) بحار الأنوار: ج ٨٤ ص ٣٣٩.

(٣) الصحيفة السجادية، دعاؤه عليه السلام في سحر كل ليلة من شهر رمضان. اقبال الأعمال ص ٦٧.

من الخارج، نعم الممكن إنما يحتاج إلى السبب في وجوده، وأما عدمه فبعدم ذلك السبب.

وبما أن كل جزء من أجزاء العالم محتاج في وجوده إلى سبب يعطيه الوجود، فمعطي الوجود له، إما هو نفسه، أو مثله من سائر الموجودات، أما نفسه فالمفروض أنه فاقد للوجود، فكيف يكون معطيا لما يفقده، وأما مثله فكذلك، لا يمكنه أن يعطي الوجود لنفسه، فكيف يعطيه لغيره، وهذا الحكم الجاري على كل جزء من أجزاء العالم، يجري على كل العالم أيضا.

كما أن ضياء الفضاء الذي ليس له نور في ذاته دليل على وجود مبدأ لذلك الضياء يكون الضوء ذاتيا له، وإلا لما أضاء ذلك الفضاء؛ لأن ما كان مظلما في ذاته يستحيل أن يضيء نفسه، فضلاً عن غيره.

ومن هنا كان وجود الكائنات وكمالات الوجود - كالحياة والعلم والقدرة - دليلاً على وجود مبدأ يكون وجوده وحياته وعلمه وقدرته ذاتياً له غير مستند إلى غيره ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾[1].

عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام أنه دخل عليه رجل فقال له: يابن رسول الله ما الدليل على حدوث العالم؟ فقال: «**أنت لم تكن ثم كنت وقد علمت أنك لم تكوِّن نفسك، ولا كوَّنك من هو مثلك**»[2].

وسأل أبو شاكر الديصاني الإمام الصادق عليه السلام، ما الدليل على أن لك صانعاً؟

فقال: «**وجدت نفسي لا تخلو من إحدى الجهتين، إما أن أكون صنعتها وكانت موجودة، أو صنعتها وكانت معدومة، فإن كنت صنعتها وكانت موجودة فقد استغنيت بوجودها عن صنعتها، وإن كانت معدومة فإنك تعلم أن المعدوم لا يحدث شيئاً، فقد ثبت المعنى الثالث أن لي صانعاً وهو**

(١) سورة الطور: ٣٥.

(٢) التوحيد للصدوق: ص ٢٩٣، باب إثبات حدوث العالم، ح ٣.

الله رب العالمين»[1].

إن الشيء الذي لم يكن ثم كان، إما أن يكون قد أوجد نفسه، أو أوجده غيره، فإن كان هو أوجد نفسه، فلا يخلو إما أن أوجد نفسه عندما كان موجوداً أو أوجد نفسه عندما كان معدوماً، فإن كان الأول يلزم إيجاد الموجود، وهو محال، وإن كان الثاني يلزم عليه المعدوم للوجود، وهو محال أيضاً.

وإن كان الموجد له غيره، فإن كان ذلك الغير مثله غير موجود ثم وجد، فحكمه حكم ذلك الشيء بلا فرق. لذلك، تقضي ضرورة العقل بأن كل شيء لم يكن موجودا ثم كان، لابد أن يكون له موجد ليس للعدم إلى ذاته سبيل.

وبهذا يظهر أن كل موجودات العالم وتطوراتها دليل على وجود موجد لها ليس له موجد، وأن كل المصنوعات والمخلوقات دليل على وجود خالق وصانع غير مخلوق ولا مصنوع.

الطريق الثاني:

لو عثر على ورقة مطروحة في برية مكتوب عليها حروف المعجم من الألف إلى الياء بالترتيب، فإن ضمير كل إنسان يشهد بأن كتابة تلك الحروف وترتيبها ناتجة عن فهم وإدراك.

وإذا رأى على الورقة كلمة مؤلفة من الحروف المذكورة وكلاماً منسقاً من الكلمات، فإنه سيؤمن بعلم الكاتب وفكره، بنسبة ذلك التأليف والتنسيق، ويستدل به على علمه وحكمته.

فهل تكوين نبتة من عناصرها الأولية أقل دلالة على علم صانعها وحكمته من تركيب جملة من الكلام الدال بوضوح على علم كاتبه؟! فما بال الإنسان يستدل بالسطر على علم كاتبه وحكمته، ولا يستدل بالنبتة على علم خالقها وصانعها وحكمته؟!

ما هذه الحكمة والعلم الذي جعل من الماء والتراب ما يبلي قشر

(١) التوحيد للصدوق: ص ٢٩٠، باب أنه عز وجل لا يعرف إلا به ح ١٠.

الحبة ويحيي لبها بالحياة النباتية!

وأعطى جذر النبتة قدرة يشق بها الأرض، ويجذب قوت النبتة وغذاءها من ظلمة التراب! وهيأ في كل قسم من مائدة التراب الغنية أقواتاً لأنواع النباتات والأشجار المختلفة، فصارت كل نبتة وشجرة تجد فيها غذاءها الخاص! وجعل جذور كل شجرة لا تجذب إلا الغذاء الخاص الذي ينتج ثمرتها الخاصة!

وجعل الجذور تكافح جاذبية الأرض، فترسل الماء والغذاء إلى فروع الشجرة وغصونها! وفي نفس الوقت الذي تعمل فيه الجذور في الأعماق، جعل الفروع والغصون والأوراق تنشط في الفضاء للحصول على النور والهواء! «فكل ميسر لما خلق له»[1].

ومهما حاول الإنسان تغيير هذه السنة الحكيمة، ليجعل الجذور - التي خلقت لتضرب في أعماق التراب - تذهب نحو السماء، والغصون - التي خلقت لتنشط في الفضاء - تذهب إلى أعماق الأرض، يجد أنها تكافحان مع نقض هذه السنة، وتذهبان في مسيرهما الطبيعي ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلا﴾[2].

إن التأمل في خلق شجرة واحدة من عروقها إلى آلاف أوراقها، وما فيها من أنظمة مدهشة محيرة للعقول، وما أعطي لكل خلية من خلايا أوراقها من القدرة على جذب الماء والغذاء من أعماق الأرض بواسطة الجذور، وارتباطها بما في السماء والأرض وما بينهما، والنواميس المؤثرة في حياتها، من اختلاف الليل والنهار وتضامن القوى الأرضية والسماوية على إنباتها، بإفناء بذرها في أصلها وفرعها، وإبقاء نوعها بإيداع بذور منها في أثمارها، يكفي للإنسان أن يؤمن بالعلم والحكمة اللا متناهية وراء ذلك ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾[3]،

(١) عوالي اللئالي: ج ٤، ص ٢٢، التوحيد: ص٣٥٦ باب ٥٨ ح ٣.

(٢) سورة الأحزاب: ٦٢.

(٣) سورة النمل: ٦٠.

﴿أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ﴾[1]، ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾[2].

إن أية نبتة وشجرة تنظر إليها، تجدها من جذورها إلى ثمارها آية لعلم الخالق وقدرته وحكمته، خاضعة للسنة التي جعلت لأجل تربيتها ورشدها ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾[3]. وكذلك التأمل في حياة كل حيوان يهدي إلى الله تعالى.

جاء أبو شاكر الديصاني إلى الإمام الصادق عليه السلام فقال له: يا جعفر بن محمد دلني على معبودي.

فقال له أبو عبد الله عليه السلام: **اجلس**، فإذا غلام صغير في كفه بيضة يلعب بها، فقال أبو عبد الله عليه السلام: **ناولني يا غلام البيضة**، فناوله إياها، فقال أبو عبد الله عليه السلام: **يا ديصاني هذا حصن مكنون، له جلد غليظ، وتحت الجلد الغليظ جلد رقيق، وتحت الجلد الرقيق ذهبة مائعة وفضة ذائبة، فلا الذهبة المائعة تختلط بالفضة الذائبة، ولا الفضة الذائبة تختلط بالذهبة المائعة، فهي على حالها، لم يخرج منها خارج مصلح فيخبر عن صلاحها، ولم يدخل فيها داخل مفسد فيخبر عن فسادها، لا يدري للذكر خلقت أم للأنثى، تنفلق عن مثل ألوان الطواويس، أترى لها مدبرا؟!**

قال: فأطرق مليا، ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، وأنك إمام وحجة من الله على خلقه، وأنا تائب مما كنت فيه[4].

فأي تدبير صنع هذا الحصن المحكم من مادة الكلس المصفى، وأودع فيه الأسرار العجيبة؟!

أي تدبير نسج هذا الحصن من مواد الحب الذي تأكله الدجاجة والطير، ثم وضعه في بيت المبيض وجعله مقرا آمنا لنمو الفرخ فيه، وأسكن فيه النطفة كاللؤلؤة في

(١) سورة الواقعة: ٧٢.
(٢) سورة الحجر: ١٩.
(٣) سورة الرحمن: ٦.
(٤) الكافي ج ١ ص ٨٠، التوحيد ص ١٢٤ باب ٩ ح ١، الاحتجاج ج ٢ ص ٧١، باب احتجاج الصادق عليه السلام.

الصدفة؟! وحيث إن الجنين منفصل عن أمه، وليس هناك رحم يوفر له الغذاء، فقد هيأ له الغذاء في داخل الحصن، وجعل بين جدار الحصن الغليظ وبين الفرخ وغذائه غشاء لطيفاً يمنع من وصول الأذى إليه، ثم خلق في ذلك الجو المظلم جميع أعضاء الحيوان وقواه من عظام وعضلات وعروق وأعصاب وحواس ووضع كل واحدة منها في موضعها، والتأمل في تركيب العين من تلك الأعضاء فقط وما أودع فيها من لطائف الصنع، ووضعها في موضعها الذي يليق بها يحير العقول، فضلا عن جميعها. ولأجل أن يتمكن من الارتزاق - إذا خرج - بالتقاط الحب من بين التراب والأحجار، جهزه بمنقار صلب من جنس قرون الحيوانات، لئلا يتأذى بالنقر في الأرض.

ولأجل أن لا يفوته رزقه، جعل له حويصلة يجمع فيها كل ما وجد من الحب ويدخره في تلك المحفظة، ثم يعالجه بعد ذلك ويرسله إلى هاضمته. ثم كسا جلده الرقيق بريش وجناحين تقيه الحر والبرد، والضر والعدو.

ثم لم يكتف له بضرورات حياته وواجباتها، حتى أنعم عليه بنوافلها المتعلقة بمظهره، فلون ريشه وجناحيه بألوان تسر الناظرين، قال عليه السلام: «**تنفلق عن مثل ألوان الطواويس**».

وبما أن تكامل هذا الحيوان يحتاج إلى الحرارة الموزونة في صدر الدجاجة، فإذا بالحيوان الذي لا يهدأ عن السعي والحركة إلا في ظلام الليل، يخمد في مكانه، ويرقد على بيضه هادئاً ساكناً طوال المدة التي يحتاج الجنين في البيض إلى تلك الحرارة.

فأية حكمة سلطت هذا الخمود والسكون على طائر دائم الحركة لتتحقق حركة الحياة في فرخ جديد؟!

بل أي أستاذ علم الطائر أن يقلِّب البيض في الليل والنهار حتى لا تفقد أعضاء الجنين تعادلها؟! وعلم الفرخ عندما يتم خلقه أن يكسر جدار الحصن بمنقاره، ويدخل في عالم حياة جديدة أعدت لها أعضاؤه وقواه؟!

أي أستاذ أحدث ثورة في طبيعة

أم الفراخ، تلك التي لم يكن يؤثر فيها إلا عامل المحافظة على حياتها والدفاع عن نفسها، فإذا بانقلاب يحدث فيها، فتجيش بالعاطفة على فراخها، تحافظ عليها وتحميها، وتجعل صدرها درعاً يقيها، وتبقى هذه الحالة العاطفية طوال المدة التي تحتاج إليها حتى تستعد لإدامة الحياة بنفسها.

ألا يكفينا التأمل في بيضة واحدة لأن يهدينا إلى الذي ﴿خَلَقَ فَسَوَّى ۝ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾[1]، ومن هنا قال الإمام عليه السلام: «أترى لها مدبراً؟ قال: فأطرق ملياً، ثم قال:

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وأنك إمام وحجة على خلقه، وأنا تائب مما كنت فيه».

إن التأمل في تركيب أبسط عضو من بدن الإنسان يكفي للإيمان بتقدير الخالق العزيز العليم.

[مقدمة في أصول الدين]

(١) سورة الأعلى: ٢ و ٣.

تطوُّر الإنسان

السيّد محمّد باقر السيستانيّ

أمَّا الحديث الخاصّ عن تطوُّر الإنسان فيلاحظ أنَّ لهذا الموضوع محلَّ خلافٍ يخصُّه، فإنَّ هناك من علماء الأحياء وغيرهم مَن أذعن بالتَّطوُّر في سائر الكائنات الحيَّة، واستبعده في شأن الإنسان بنحو خاصٍّ.

ويبدو أنَّ السَّبب في هذا الاستبعاد أمران:

١ ـ ما ورد في النُّصوص الدِّينيَّة من خلق الإنسان خلقاً مبتدأً من الطِّين بعناية خاصَّة من قبل الله تعالى، وهو بظاهره ينافي نشأته عن التَّطوُّر.

وقد تقدَّم من قبل الحديث حول وجوه العلاج المحتمل لهذا الاستبعاد.

٢ ـ امتيازات للإنسان يبعد كونها نتاجاً لتطوُّرٍ مـادّيٍّ محض؛ لكونها خـصـالاً روحـيَّـة، كـما في الإدراك المتطوِّر من قبيل: التَّحليل، والتَّجريد، والاسـتـدلال، والإرادة الحـرَّة، والضَّمير الأخلاقيّ.

هـذا، ويجـري في شـأن الإنسان عموماً الشَّواهد العامَّة على التَّطوُّر، حيث يُذكر أنَّها تنطبق في شأن الإنسان أيضاً، وقد تكون هناك ملاحظات إضـافـيَّـة عـلى هـذا التَّطبيق، فمن الملاحظات الإضافيَّة على هذا التَّطبيق ما أصرّ عليه جمع من علماء الأحياء من خلال محاسبات تفصيليَّة من تعذُّر ولادة الإنسان بالتَّطوُّر، فقد أحصى (براميل) و(ليبرمان) ستّ عشرة مزيةً للجسم البشريّ تظهر للمرَّة الأولى في الإنسان المنتصب والإنسان العاقل ـ الّـذي هو أقرب إلى الإنسان الحالي ـ والوقت المقدَّر لتطوُّر الإنسان عن سلفه المشترك مع القرود إلى الإنسان الحـالي ستة أو سبعة مـلايـين سنة فحسب، وقد قدَّر اثنان من العلماء ـ وهما (ديوريث) و(شميدث) ـ الحاجة إلى ستة ملايين سنة لأجل حدوث طفرة واحـدة في موقع ارتبـاط على الدنا والحاجة إلى (٢١٦) مليون سنة لحدوث طفرتين ثابتتين، وعليه فإنَّ تلك المدة لا تكفي لإثبات التَّغيُّرات التَّشريحيَّة السَّتة عـشر الـضَّروريَّـة لوجود الإنسان الحالي.

ولنتوقَّف هنا عند بعضها:

١ ـ أنَّ الإنسان يشبه الحيوانات ـ ولا سيما الرَّئيسيَّات ـ في صورته وأجزائه الدَّاخليَّة، فلو كان الإنسان قد خُلق خلقاً خـاصَّـاً فلماذا يُخلق على هذا النِّظام نفسه ومتشابهاً بهذه الدَّرجة مع الشّمبانزي مثلاً.

ويلاحَظ بشأن هذا الاستشهاد: بـأنَّ مـن الجـائـز أن يكون الإلـه قد اختار للإنسان صورة قريبة إلى بعض الكائنات الموجودة، والّتي هي الأكثر ملاءمة مع الإنسان؛ لما في هذا التَّشابه من روعةٍ وجمالٍ واستئناسٍ للإنسان، وليس هذا الأمر بعيداً عن الاعتبارات الملحوظة للخالق.

٢ ـ أنَّ الإنسان يماثل الحيوانات

في تكوُّنه وفق النِّظام الخلويّ للحياة، كما أنَّه يتشابه مع سائر الحيوانات في جيناتها حسب درجة قربه إليها، فهو يتشابه مع الشّمبانزي شبهاً كبيراً، وهناك تغيُّرات جينيَّة قليلة جدَّاً أوجبت الاختلاف الملحوظ بينهما.

ويلاحظ بشأن هذا الاستشهاد: أنَّ العلم كشف أخيراً عن أنَّ الفرق الجينيّ بين الإنسان والشّمبانزي ليس قليلاً، فهو يختلف في تسلسلات الجينات فرقاً معتداً به، ويختلف أيضاً في عدد الجينات، فهناك أكثر من (١٤٠٠) جين يوجد في الإنسان دون الشّمبانزي، ويختلف عنه أيضاً في عدد نسخ الكثير من الجينات الّتي يتشاركان فيها.

٣، ٤ ـ أنَّ الإنسان الأوَّل وجِدَ بحسب المعلومات بعد وجود القردة، وعليه فهو يقع في التَّدرُّج الوجوديّ في الزَّمان المناسب، كما أنَّ موطنه الأوَّل هو موطن القرود أي أفريقيا، وعليه فقد وجد من حيث الرُّقعة الجغرافيَّة في المكان المناسب أيضاً.

ويلاحظ بشأن هذا الاستشهاد:

ـ على تقدير الوثوق بمثل المؤشِّرات الّتي اعتمد عليها في إثبات التَّدرُّج

ـ أنَّ من الوارد أن يكون الخالق قد اختار إيجاد الإنسان في زمان ومكان يوجد فيه كائنات شبيهة بالإنسان من القرود وأشباه الإنسان حتَّى لا يستوحش بانفراده لا سيَّما قبل تكاثره، فهذا يفسِّر التَّشابه بين الإنسان وسائر الكائنات الحيَّة حسب تدرُّجها إلى حدٍّ كبير، ويفسِّر أيضاً تأخُّر وجود الإنسان حتَّى وجود الكائنات الشَّبيهة به في الانتصاب والمشي على رجلين أو بعض البراعة.

٥ ـ أنَّ بنيَّة الصّبغي البشريّ رقم (٢) تشبه بنيَّة الصّبغي الّذي نتوقَّع تكوُّنه باندماج نهايات اثنين من صبغيَّات الشّمبانزي مع بعضهما، فلدى البشر (٢٣) زوجاً من الصّبغيَّات، في حين يملك الشّمبانزي والقردة العليا (٢٤) صبغيَّاً، وهذا يشير إلى وجود سلفٍ مشتركٍ بينهما، ولاحظ على ذلك عدد من العلماء:

أوَّلاً: بعدم ثبوت تحقُّق أيِّ

اندماجٍ صبغيّ جينوم الإنسان، بل هناك مؤشِّرات متعدِّدة على خلاف ذلك[1]

وثانياً: بأنَّه لم يثبت كون اندماج هذين الصّبغين في البشر أمراً حساساً، فضلاً عن أن يكون قد جعل من الإنسان إنساناً، كما أكَّد على ذلك عالم الأنتروبولوجيا (جوناثان ماركس)[2]

وثالثاً: أنَّ من الجائز في ضوء ذلك أن يكون الجنس البشريّ قد شهد نفسه حدوث الاندماج الصّبغيّ في وقت أصبح عدد أفراده قليلاً، فكان الباقي من البشر كلّهم من نسل الفرد الّذي شهد هذا الاندماج.

٦ ـ وجود حلقات ملائمة لأن تكون متوسطة بين السَّلف المشترك للإنسان والقرود العليا وبين الإنسان من خلال متحجِّرات متعدِّدة نجد أنَّها كلّما كانت أكثر حداثةً كانت أقرب إلى الصِّفات البشريَّة، وفي ذلك ما يؤيِّد أنَّ الإنسان قد تطوَّر تدريجاً عن حيوانات سابقة.

وهذه المتحجِّرات على قسمين:

(أ) ما يسمَّى بالقرود شبه البشريَّة؛ لأنَّها أشبه بالقرود، منها قرود شماليَّة مثل (توماي، أورورين، أردي)، ومنها قرود جنوبيَّة مثل (القرد العفاري، والقرد الأفريقي، والقرد القوي، والقرد بويزي).

(ب) ما يسمَّى بالبشريين أشباه القرود، مثل (الإنسان البارع يدوياً، والإنسان منتصب القامة).

ويلاحظ على ذلك: أنَّ هناك جدلاً غير قليل بين أهل العلم في شأن هذه المتحجِّرات، فقد ذهب العديد منهم إلى أنَّ تلك المتحجِّرات بين ما هو قرد حقيقة وما هو بشر حقيقة، وليس هناك حالة متوسطة بالنَّحو المتوقَّع، وقد بينوا ذلك على وجه التَّفصيل الّذي لا يسع عرضه في المقام.

وقد رأى فريق آخر من العلماء أنَّ المتحجِّرات المذكورة يسيرة ومتقطِّعة، وهذا الأمر وإن أمكن أن يكون من جهة عدم محفوظيَّة المتحجِّرات، لكنَّه

(١) المصدر السابق، ص: ١٥٦.

(٢) لاحظ: العلم وأصل الإنسان، ص: ١٥٥ وما بعدها.

على كلِّ حال لا يمثِّل حجَّة على وجود حلقات انتقاليَّة بين السَّلف المشترك المفروض للقرود العليا وللإنسان.

ويضاف إلى ذلك: أنَّه قد تجدَّد منذ فترةٍ متحجِّرات إضافيَّة[1] عن الإنسان تربك الافتراضات المتقدِّمة عن زمان ظهور الإنسان، وتعطي وجوده من قبل تلك الفترة الملائمة للتَّطوُّر الطَّبيعيّ.

٧ ـ الأعضاء والسِّمات الأثريَّة في الإنسان، وهي متعدِّدة:

بعضها غير نافعة، ومن أمثلتها ما يلي:

أ - حلمات الثَّدي عند الرِّجال، وتفسَّر- وفق التَّطوُّر- بأنَّها بقايا تطوُّر الذَّكر عن الأنثى.

ب - فقرات العصصي، فهي لا تؤدِّي أيّ دورٍ فعليٍّ، وكانت وفق نظريَّة التَّطوُّر جزءاً من الذَّيل الطَّويل المفيد للحيوانات، حيث تنتفع به في تحريك ذيلها.

وبعضها ضارَّة، كما في الموارد التَّالية:

(أ) الزَّائدة الدُّوديَّة الّتي تفسَّر وفق التَّطوُّر بحاجة أسلافه من آكلي الأوراق إليها لتساعدها على تحليل السِّليلوز.

(ب) ضرس العقل الّذي يتخلَّص منه كثير من النَّاس بالخلع، وهو بحسب التَّطوُّر ميراث من أسلافه الّذين كانوا يحتاجون لأضراس أكثر للطَّحن قبل اكتشاف النَّار، وقد قيل إنَّ بعض الشُّعوب مثل شعب المكسيك لا ينمو لديهم هذا الضِّرس بنحو فطري.

(ج) العصب الحنجري المنعطف للثَّدييات ممتداً من المخ إلى الحنجرة، حيث إنَّه لا يسلك سبيلاً مباشراً إلى الحنجرة، بل يمتد إلى الصَّدر ويتحلَّق حول الشِّريان الأورطي ثُمَّ يطوف عائداً علوّاً للاتِّصال بالحنجرة، وهو ضارٌّ؛ لأنَّه يكون عرضةً للانجراح إذا تلقَّى الإنسان ضربةً على صدره.

ولكن يلاحظ على ذلك: أنَّ

(١) لاحظ ما ذكر حول ذلك في موسوعة ويكيبيديا ومصادرها (نقد التَّطوُّر).

الموارد المذكورة لا تثبت تطوُّر الإنسان عن حيوان آخر لأحد وجوه:

١ ـ إنَّ من الجائز في معظم هذه الموارد أنَّ الإنسان نفسه كان على وضعٍ مختلفٍ ينتفع معه بهذه الأعضاء، فمن الجائز مثلاً أنَّ الإنسان ابتداءً كان يأكل الأعشاب ونحوها، ومن ثَمّ كان يحتاج إلى الزَّائدة الدُّوديَّة، ثُمّ اختلف وضعه لاحقاً واستغنى عنها، وكذلك من الجائز حاجته أوَّلاً إلى ضرس العقل للطَّحن ثُـمّ استغنى عنه بعد اكتشاف النَّار.

٢ ـ أن يكون الإنسان قد زُوِّد ببعض هذه الأعضاء للجمال، من قبيل وجود حلمة الثَّدي لدى الرَّجل، وفقرات العصعص، وقد رأى فريق من علماء الأحياء أنَّ بعض خصائص الكائنات الحيَّة كالطُّيور قد يكون لغاية الجمال والإغراء، وهو قد يرد في شأن الإنسان.

٣ ـ أن يكون بعض هذه السِّمات قد حصل إثر طفرة ضارَّة عندما كان أفراد الإنسان قليلاً، ولزم الإنسان بعد ذلك؛ لانقراض نسل الّذي لم تتَّفق فيه الطَّفرة، ومن وقف على تعليلات علماء الأحياء في وجه اشتمال الكائنات الحيَّة على بعض الخصائص لا يفقد ما يناسب ذلك فيها.

٤ ـ إنَّ بعض الموارد الّتي تذكر في عداد السِّمات الضَّارَّة غامض وليس مؤكَّداً، مثلاً قد ذكر أنَّ الأنثى لو كانت تلد من بطنها كان ذلك أبعد عن تضرُّرها بالولادة بالقياس إلى ولادتها من أسفل البطن، ولكن ما هو مدى إمكان التَّأكُّد من عوارض وجود فتحة أخرى تتيح الولادة من البطن؟ بالمقارنة مع الولادة من أسفله؟

٥ ـ وبعد، فإنَّ بعض علماء الطِّبّ يثبتون لبعض الأعضاء والسِّمات المذكورة فوائد مرجِّحة لوجودها حتَّى في الوضع الفعليّ، كما أنَّ هناك من لا يبتّ بعدم فائدة لها من المنظور الطِّبّيّ، ويحتمل أن يكتشف العلم في المستقبل فوائد مقنعة لها لا سيّما فيما لم يجرّب العلم بعد وجود الكائن منذ نشأته من دون العضو المفترض لكي يقدِّر مضاعفات ذلك بشكل ميداني،

ويمكن دراسة ذلك في الدِّراسات الموسَّعة.

وأيّاً كان: فلا ينبغي الشَّكّ في أنَّ ثقل الدِّين في مجموع شواهده الفطريَّة وأدلَّته التَّاريخيَّة هو بدرجة كبيرة لا يصحُّ منطقيّاً رفع اليد عنه بحالٍ على أساس شواهد نظريَّة التَّطوُّر الأحيائيّ، ويبقى الأمر في الموضوع دائراً بين بعض هذه العلاجات المتقدِّمة من قبل في أصل البحث.

[المعاد وحقيقة الإنسان]

أوراق علمية

الحاجة إلى علم الرجال

زعيم الطائفة آية الله العظمى السيد أبو القاسم الخوئي

قد ثبت بالأدلة الأربعة حرمة العمل بالظن، وأنه لا يجوز نسبة حكم إلى الله سبحانه ما لم يثبت ذلك بدليل قطعي، أو بما ينتهي إلى الدليل القطعي، وناهيك في ذلك قوله سبحانه: ﴿آللهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اَللهِ تَفْتَرُونَ﴾[1]. دلت الآية المباركة على أن كل ما لم يثبت فيه إذن من الله تعالى، فنسبته إليه افتراء عليه سبحانه، كما ثبت بتلك الأدلة أن الظن بنفسه لا يكون منجزاً للواقع، ولا معذرا عن مخالفته في ما تنجز بمنجز، ويكفي في ذلك قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ اَلظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ اَلْحَقِّ شَيْئاً﴾[3].

(١) يونس: الآية٥٩.

(٢) الاسراء: الآية ٣٦.

(٣) يونس: الآية٣٦.

وأمّا الروايات الناهية عن العمل بغير العلم: فهي فوق حد الإحصاء، ففي صحيح أبي بصير: «قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ترد علينا أشياء ليس نعرفها في كتاب الله ولا سنة فننظر فيها؟ فقال: **لا، أما إنك إن أصبت لم تؤجر، وإن أخطأت كذبت على الله**».

ثم إنه لا ريب في أن العقل لا طريق له إلى إثبات الأحكام الشرعية لعدم إحاطته بالجهات الواقعية الداعية إلى جعل الأحكام الشرعية. نعم، يمكن ذلك في موارد قليلة، وهي إدراك العقل الملازمة بين حكم شرعي وحكم آخر، كإدراكه الملازمة بين النهي عن عبادة: كالصوم يوم العيدين وفساده.

وأمّا الكتاب العزيز: فهو غير متكفل ببيان جميع الأحكام، ولا بخصوصيات ما تكفل ببيانه من العبادات، كالصلاة والصوم والحج والزكاة فلم يتعرض لبيان الأجزاء والشرائط والموانع.

وأمّا الإجماع الكاشف عن قول المعصوم عليه السلام: فهو نادر الوجود.

وأمّا غير الكاشف عن قوله عليه السلام، فهو لا يكون حجة؛ لأنه غير خارج عن حدود الظن غير المعتبر، والمتحصّل: أن استنباط الحكم الشرعي في الغالب لا يكون إلّا من الروايات المأثورة عن أهل بيت العصمة عليهم السلام، والاستدلال بها على ثبوت حكم شرعي يتوقف على إثبات أمرين:

الأول: إثبات حجية خبر الواحد، فإنا إذا لم نقل بحجيته، انتهى الأمر إلى الالتزام بانسداد باب العلم والعلمي. ونتيجة ذلك هو التنزل في مرحلة الامتثال إلى الامتثال الظني، أو القول بحجية الظن في هذا الحال، على ما ذهب إليه بعضهم.

الثاني: إثبات حجية ظواهر الروايات بالإضافة إلينا أيضاً، فإنا إذا قلنا باختصاصها بمن قصد بالإفهام، وإنهم المخاطبون فقط، لم يمكن الاستدلال بها على ثبوت حكم من الأحكام أصلا.

وهذان الأمران قد أشبعنا الكلام

فيهما في مباحثنا الأصولية.

ولكن ذكرنا أنّ كل خبر عن معصوم لا يكون حجة، وإنما الحجة هو خصوص خبر الثقة أو الحسن. ومن الظاهر أن تشخيص ذلك لا يكون إلا بمراجعة علم الرجال ومعرفة أحوالهم وتمييز الثقة والحسن عن الضعيف، وكذلك الحال لو قلنا بحجية خبر العادل فقط. فإن الجزم بعدالة رجل أو الوثوق بها لا يكاد يحصل إلا بمراجعته.

هذا، والحاجة إلى معرفة حال الرواة موجودة، حتى لو قلنا بعدم حجية خبر الواحد، أو قلنا باختصاص حجية الظهور بمن قصد إفهامه، فانتهى الأمر إلى القول بحجية الظن الانسدادي أو لزوم التنزل إلى الامتثال الظني، فإن دخل توثيق علماء الرجال رواة رواية في حصول الظن بصدورها غير قابل للإنكار.

ومن الغريب -بعد ذلك- إنكار بعض المتأخرين الحاجة إلى علم الرجال بتوهم أن كل رواية عمل بها المشهور فهي حجة، وكل رواية لم يعمل بها المشهور ليست بحجة، سواء أكانت رواتها ثقات أم ضعفاء.

فإنه مع تسليم ما ذكره من الكلية- وهي غير مسلمة وقد أوضحنا بطلانها في مباحثنا الأصولية- فالحاجة إلى علم الرجال باقية بحالها، فإن جملة من المسائل لا طريق لنا إلى معرفة فتاوى المشهور فيها، لعدم التعرض لها في كلماتهم، وجملة منها لا شهرة فيها على أحد الطرفين، فهما متساويان، أو أن أحدهما أشهر من الآخر، وليست كل مسألة فقهية كان أحد القولين، أو الأقوال فيها مشهورا، وكان ما يقابله شاذاً.

بل الحال كذلك حتى لو قلنا بأن صدور روايات الكتب الأربعة قطعي، فإنّ أدلة الأحكام الشرعية لا تختصّ بالكتب الأربعة، فنحتاج- في تشخيص الحجة من الروايات الموجودة في غيرها عن غير الحجة- إلى علم الرجال.

[رسالة في كليات علم الرجال]

أدوار الفكر الأصولي عند الشيعة

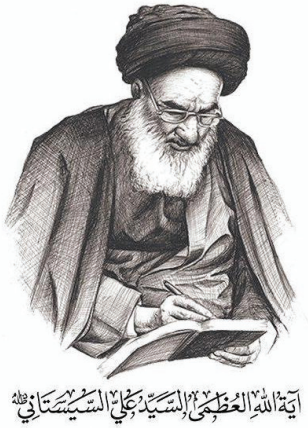

تقريرات بحث السيد السيستاني دام ظله

بقلم السيد هاشم الهاشمي

اعتقد أن معيار الدور يجب أن يكون بملاحظة حدود المعارضة والمنافسة والمبارزة، وانتهاء الدور بانتهاء مرحلة المعارضة هذه.

وتوضيح هذه الفكرة: لا إشكال أن المنافسات الثقافية من وسائل تقوية الفكر وتنميته كسائر المنافسات، فكما أن سائر العلوم نتيجة التنافس والمسابقة بين المجتمعات تترقى وتنمو وتتطور، وهكذا المجال التشريعي أيضاً فإنه يترقى على هذا الأساس.

وعلى ضوء هذا الأساس لا بد أن نلاحظ علم الأصول الشيعي من أول بزوغه في عهد النبي، وما بعده، كما ذكرنا بأن البحوث القانونية نشأت نتيجة للتشريعات التي أصدرها الخلفاء والتي اعتمدوا فيها على آرائهم دون أن يتبعوا نصوص الشرع فيها، ومنعهم عن تدوين السنة، وقولهم بالقياس والاستحسان، وغيرها من المباحث التي أوجدت المناظرات

والمناقشات منها، ومثل هذه المناظرات في طبيعتها لا بد أن تعتمد على قواعد وأصول، وذكرنا رواية سليم بن قيس الهلالي، ورواية المسمعي، قد اشتملتا على جملة من الأصول، وبأنه يوجد في الروايات ناسخ ومنسوخ، وعام وخاص، ومقاييس التمييز بين السنن والفرائض وغيرها من القواعد التي وسعها علماؤنا بعد ذلك.

ففي هذا الدور واجه الشيعة مثل هذه التشريعات المعتمدة على أسلوب التشريع عند أهل السنة، وأصول التشريع عند أهل الرأي، وهم أهل السنة العراقيين، تعتمد القياس والاستحسان، وعند أهل الحديث فتعتمد حجية الخبر وخبر ثقة عن ثقة، فمجرد أن يروي الخبر ثقة عن ثقة يكون هذا الخبر معتبراً بعكس العراقيين، الذين لم يكونوا يعتمدون على الأخبار الكثيرة، حيث كانوا يلتزمون بلزوم النقد الداخلي والمقايسة بين متن الرواية والأصول، حيث ذكرنا في مبحث التعادل والتراجيح أن هذه الفكرة قد اكتسبوها من الإمام الباقر عليه السلام، وهذا هو الذي يعبر عنه في كتاب الكافي والمحاسن بباب الأخذ بشواهد الكتاب والسنة، فهذا مكتسب في حقيقته من الأئمة عليهم السلام، فكل رأي حق لا بد أن ينتهي في أصله إلى الأئمة عليهم السلام، كما صرح بذلك في الروايات.

وعلماؤنا لأجل مواجهة هاتين المدرستين خاضوا في المسائل الأصولية، فألفوا رسائل متعددة في علم الأصول مذكورة في كتب الرجال، ألفها بعض بني نوبخت وغيرهم، في إبطال القياس، أو في عدم حجية الخبر الواحد أو في مسألة الحديثين المختلفين، فناقشوا وعارضوا في كتبهم هذه أصول هاتين المدرستين معارضة ثقافية.

إلا أن هناك أسباباً تؤدي إلى التشديد في المعارضة، منها: أن يتأثر الأصولي الشيعي بآراء الغير، كما نسب لابن الجنيد رضي الله عنه، وهو معاصر الصدوق رحمه الله، القول بحجية القياس، وهكذا غيره، ولذا نرى الشيخ المفيد رضي الله عنه وغيره قد كتبوا رسائل

في إبطال القياس في مناقشة أمثال ابن الجنيد، وأنه متأثر بآراء أهل السنة، لذلك نرى الشيخ الطوسي في الفهرست، والسيد المرتضى في الانتصار يتشدد في معارضته بأن كتب ابن الجنيد ملغاة لأجل ميله للقول بالرأي والقياس.

وهناك من الشيعة من تأثروا بمدرسة أهل الحديث عند أهل السنة، لذلك صدرت منهم بعض الأقوال المشابهة لأقوال الحشوية، ومن هنا رأينا أن الشيخ المفيد كتب في ردهم كتاب (مقابيس الأنوار في الرد على أهل الأخبار)، وغير الشيخ المفيد، وفي موضوع حجية الخبر الواحد، كما كان هناك صراع خارجي مع غير الشيعة، كان هناك صراع ومناظرة داخلية مع بعض الشيعة المتأثرين بمدرسة أهل الحديث، وأصحابنا المعتدلون كالشيخ المفيد وغيره كما كانوا يتشددون، وتصدر منهم أقوال شديدة اللهجة بالنسبة للشيعة المتأثرين بأهل الرأي، كذلك مع المتأثرين بأهل الحديث، والقائلين بحجية الخبر الواحد مطلقاً من الشيعة، وهم كثير آنذاك؛ إذ أن آراء الجهة المعارضة لو دخلت داخل نطاق المجتمع الشيعي فهذا يحفز على المعارضة والمناقشة بصورة أشد وأكثر.

إذن فالدور الأول دور المناظرة مع أهل السنة بكلا مدرستيه، وأولئك الشيعة المتأثرين بهم، ولأجل هذه المعارضة اكتسبت الأصول لوناً خاصاً، يعبر عن هذا اللون بالمعارضة، وهذه المعارضة أدت إلى تنامي الأصول وتكاملها، ويتمثل تكاملها في عدة الشيخ الطوسي، ونتيجة هذه المعارضات التي نشأت في عهد الديالمة وغيرهم، أن توسع الفقه الخلافي، وكذلك علم الأصول، ولكن عند مجيء عهد السلاجقة تحول أهل السنة إلى مرحلة التقليد المحض، وأخذ الشيعة نتيجة للتضييق عليهم من التقليل من المعارضة، ولكن بعد غزو التتار وحدوث الحرية الفكرية نوعاً ما ظهر المحقق الحلي الثة والعلامة الحلى ليواصلا نفس ذلك الأسلوب الأصولي، وكتاب

التذكرة والمعتبر يتعرض فيهما كثيراً لآراء العامة، وغيرها من المؤلفات في مجال الفقه المقارن، كما أن هناك بعض المؤلفات ألفت في مجال الفقه المذهبي، ولكن هذه المرحلة كانت قصيرة، ورغم قصرها نرى أن بعض أهل السنة قد تأثر بالفكر الشيعي، كابن تيمية، الذي يعتبر من المحاربين للشيعة، قد تأثر في آرائه الفقهية بالفقه الشيعي في جملة من المسائل، كبعض مسائل الطلاق، كما أشار لذلك أبو زهـرة في كتابه ابـن تيمية، وهـو قد اشتغل في أواخر عمره بالفقه، واعتبر مجدّداً في الفقه لتلك المسائل التي اتبع فيها الفقه الشيعي.

ولكن أهـل السنة بعد انسداد باب الاجتهاد عندهم، وعدم الاهتمام بالشؤون الثقافية أصبح الشيعة فارغي البال من جهتهم، وهذا ما دعا إلى عدم اهتمام الشيعة بهذه المعارضة، ليوجهوا اهتمامهم إلى أنفسهم، ولذلك نرى الشهيد الأول﵀ في كتبه الفقهية لم يتعرض لآراء العامة، وهكذا العلماء الذين جـاؤوا بعده، وهكذا في علم الأصول لم تذكر بعض البحوث التي تتحقق فيها هذه المعارضة، ولم يتعرض لتميز الشيعة عن غيرهم، لذلك نرى الشهيد الثاني﵀ في كتاب القضاء يذكر أنه يكفي للطالب أن يقرأ مختصر ابن الحاجب لأجل المنطق والأصول، مع كونه من كتب أهل السنة، وهذا يدل على عدم اهتمام الشيعة بتميزهم عن العامة، لأجـل تخلي العامة عن الميدان العلمي والثقافي، فهذا ما حفز على عدم التفكير بامتيازاتهم الخاصة، وخصوصا في البحث الأصولي.

الدور الثاني: وتبدأ هذه المرحلة برأينا من بداية القرن الحادي عشر، فبعد استقلال الشيعة واستقرارهم في عهد الصفوية في أوائل القرن العاشر، في هذا الظرف ولأجل عوامل خاصة نشأت المدرسة الأخبارية، وملا محمد أمين الاسترآبادي حيث قد عارض معارضة شديدة الفكر الأصولي الذي كان شائعاً آنذاك، والذي كان خاضعاً في بعض آرائه لعلم الكلام، كما أشرنا لهذه الفكرة، وقد اتبع البعض آراءه، أو تأثروا بها، كالمجلسين والفيض

الكاشاني والحر العاملي والشيخ يوسف البحراني، ومعارضتهم فيها الصواب والخطأ.

ومن هنا نشأت معركة فكرية شديدة بين الأصوليين والأخباريين، وعارض الأخباريون الفكر الأصولي معارضة شديدة، وشأن كل معارضة أن تكون بدايتها شديدة، فعارضوا الأصوليين لأجل أن آراءهم تعتمد في الغالب ما يبتني على الأراء الفلسفية والكلامية، وسنتعرض لهذه المعارضة في مبحث القطع، حيث نتعرض لرأي الشيخ الأنصاري﵀ في مناقشته للاخباريين.

ولكن هذه المعارضة بين الأخباريين والأصوليين أدت إلى ثراء الفكر الشيعي واكتسب علم الأصول نتيجة لذلك لونا خاصا، وقد اغتني الفكر الشيعي وأصبح أكثر تكاملا وتطوراً وعمقاً على يد أمثال الوحيد البهبهاني﵀ وتلاميذه، أمثال المحقق القمي﵀ وغيره، وتمثل الأصول بصورته الأكثر تطوراً وتكاملاً في كتاب الرسائل للشيخ الأنصاري، وقد استفدنا من هذه المرحلة كثيراً، وأغلب ما استفاد الفكر الأصولي في زماننا الراهن الحديث من الأفكار الأصولية للجهة المعارضة للأخباريين.

إذ إن المناقشات الداخلية، والمعارضات من أفراد الجهة الواحدة لا توجب تغييراً أساسياً وجذرياً، على العكس فيما لو كانت المعارضة والمناقشة خارجية، مع جهة خارجة معارضة، حينئذٍ سوف تنمو القوى الثقافية والقدرات الفكرية ليتحقق التغيير الجذري الأساسي.

وقد انتهى الأخباريون فكرياً وثقافياً، وإن بقيت آثارهم على شكل طوائف، يقلدون علماءهم السابقين دون أن تكون لهم جوامع فكرية ونشاط ثقافي، ونحن لا نريد البحث في هذا الميدان، وإنما بحثنا يتحدد في الميدان الثقافي فحسب.

فهذه المعارضة أثرت الفكر الأصولي، ويلاحظ هذا الثراء بالفرق الكبير بين كتاب الرسائل وبين كتب

علمائنا السابقين في مجال علم الأصول.

الدور الثالث: وهو الدور الذي نعيشه نحن في هذه الفترة الزمنية، وهو دور المواجهة بين الثقافة الغربية والثقافة الإسلامية، حيث تتمثل بالمقارنة بين القوانين الغربية والقوانين الإسلامية، والمراد من الغرب أعم من الشرق والغرب، وقد أثرت هذه المواجهة الخارجية في الداخل أيضا، أي أنه وجد من تأثر بمثل هذه التيارات والأفكار والآراء الغربية في الداخل، وفي نفس الوقت قد وجدت مواجهة جديدة بيننا وبين فقه أهل السنة و أصولهم؛ إذ أن أهل السنة يبحثون الآن حول المقارنة بين المذاهب الإسلامية، فأنشئت دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، وألفت موسوعة الفقه الإسلامي، وألفت في الإمام الصادق كتب عديدة من قبل أهل السنة، كما كتبوا عن أصول الفقه الشيعي بحسب فهمهم، كما ناقشوا الفكر الشيعي أيضا في مؤلفاتهم.

إذن فنحن نعاني دوراً آخرَ غير الأدوار الأخرى، ومهمة الأصولي في هذه المرحلة مهمة خاصة وصعبة.

فالملاحظ أن بعض آراء الفكر الأصولي تعتمد على أفكار وأسس وقواعد فلسفية وكلامية، ولكن مثل هذه القواعد والأسس الفلسفية والكلامية تعرضت للمناقشة والمعارضة حتى في التكوينيات، وكذلك كنا نبحث في علم الأصول عن بعض المسائل الأصولية المرتبطة باللغة والتي تبتني على بعض آراء النحاة والأدباء السابقين، ولكن ظهرت في هذا الميدان آراء جديدة في مجال فلسفة اللغة وغيرها من المجالات الأدبية؛ إذن فهناك فرق كبير بين الاعتقاد في هذه المسائل على آراء السابقين أو علمائنا فحسب، وبين أن نلاحظ في نفس الوقت الآراء الجديدة التي ظهرت في هذه المجالات.

وكذلك في مختلف أنواع العلوم العقلية، قد ظهرت آراء جديدة، منها: بحوث حساب الاحتمالات التي انتشرت بالغرب انتشاراً واسعاً، وقد كتبت حولها كتب باللغتين الفارسية

والعربية، مترجمة أو غير مترجمة، وهذه النظرية لها تأثير كبير في الفكر الأصولي، فالشبهة الغير المحصورة التي كان يعتقد السابقون من علمائنا بأنها تفترق عن الشبهة المحصورة في تنجيز العلم الإجمالي لم يجد المتأخرون طريقة صحيحة لذلك، ولكن طريقها الصحيح يتحقق على ضوء حساب الاحتمالات، أي أن المعلوم بالإجمال لو كان احتمال انطباقه على كل فرد ضعيفاً جدا بحيث يكون احتمالاً موهوماً، فتكون الشبهة غير محصورة، كما لو كان إناء واحد نجس في ضمن مليون إناء، فاحتمال كون هذا الإناء هو الإناء النجس هو نسبة الواحد للمليون، وهكذا حقيقة التواتر المعنوي واللفظي، وتجمع الاحتمالات في المحور الواحد، ومباحث دليل الانسداد، وغيرها من المباحث التي يمكن معالجتها على ضوء النظريات العقلية الجديدة.

ولا بد من التعاون بين الأصول وبين النظريات والآراء الصحيحة، فنحن نتبع مضمون هذه الآية الشريفة: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾.

وفي نفس الوقت نرى أن فقهنا يتعرض للمقارنة بينه وبين الفقه العامي، ولعل بعض الأفراد قد تأثروا بالفقه العام دون أن يعلموا بنقاط ضعف الفقه السني، مثلا: أنكر البعض منا خمس أرباح المكاسب تاريخيا، فلا بد أن تكون أصولنا وفقهنا بنوع يمكن أن يجيب على مثل هذه التساؤلات والشبهات.

فليس علم الأصول الحديث كعلم الأصول عند السابقين، بحيث نكرر فيه تلك الآراء ونعرضها، بل مهمتنا تجديد النظر في الأصول على ضوء أساليب وميادين المعارضة التي نعيشها، ويلزم أن تكون أصولنا وافية برفع احتياجاتنا الراهنة، ففي مبحث حجية الخبر الواحد تعرضنا لبحث موسع حول تاريخ تدوين الحديث، وأنه كيف لا يمكن لنا الوثوق بأحاديث أهل السنة مع أنه يلاحظ أن بعض كتبنا الحديثة قد ذكر مؤلفها

بأن كتب الحديث العامي أكثر وثوقاً من كتبنا؛ لأنهم اقرب لعصر الرسالة من الشيعة، وحدوث التغيير في كتب الشيعة أكثر، وقد تعرضنا في هذا الموضوع إلى التغييرات التي حدثت في كتب أهل السنة، كما أشار لذلك بعض كتاب أهل السنة المعاصرين، ككتاب أضواء على السنة المحمدية، كما تعرضنا لبحث القياس في مبحث الظنون، وذكرنا عدم حجيته لاحتياجنا اليوم لذلك، وكذلك تعرضنا لمبحث حجية اللغوي، ولكن عرضناه بصورة أخرى وليست بالصورة المعتمدة على فكرة حجية أهل الخبرة أو بدليل الانسداد الصغير، وكذلك بحثنا عن تاريخ تدوين اللغة وتأثر اللغويين بمذاهب العامة في المسائل الفقهية المتنازع فيها، وأن مدرسة النحويين متأثرة بمذهب غير المذهب الذي تأثرت به مدرسة البصريين، ومجرد ذكر اللفظ في كتاب لغوي لا يدل على اعتباره.

إذن فنحن في وضع خاص، ويجب أن تكون أصولنا على ضوء الموازين التي يقتضيها هذا الوضع الخاص. فنحن نعيش ظروفاً معينة، ويلزم أن تتعامل أصولنا وفقاً للموازين التي تفرضها هذه الظروف.

إذن يلزم على علم الأصول أن يعالج التساؤلات والاحتياجات الفقهية الحديثة.

[مباحث الألفاظ]

سند زيارة الأربعين

السيّد محمّد رضا السيستانيّ

روى الشيخ قدس سره[1] في التهذيب والمصباح قائلاً: أخبرنا جماعة من أصحابنا عن أبي محمد هارون بن موسى بن أحمد التلعكبري، قال: حدثنا محمد بن علي بن معمر، قال: حدثني أبو الحسن علي بن محمد بن مسعدة والحسن بن علي بن فضال عن سعدان بن مسلم عن صفوان بن مهران الجمال قال: قال لي مولاي الصادق (صلوات الله عليه) في زيارة الأربعين: تزور عند ارتفاع النهار وتقول: «السَّلامُ عَلَى وَلِيِّ الله وحَبِيبِهِ السَّلامُ عَلَى خَلِيلِ الله ونَجِيبِهِ السَّلامُ عَلَى صَفِيِّ الله وابْنِ صَفِيِّهِ السَّلامُ عَلَى الْحُسَيْنِ الْمَظْلُومِ الشَّهِيدِ السَّلامُ عَلَى أَسِيرِ الْكُرُبَاتِ وقَتِيلِ الْعَبَرَاتِ..».

وهذه الرواية هي عمدة ما يستدلُّ به على استحباب زيارة الإمام الحسين عليه السلام في العشرين من صفر ذكرى مرور أربعين يوماً على استشهاده (صلوات الله عليه)، ولا ينبغي الشك في تمامية دلالتها على ذلك، فإنه - مضافاً إلى أن متن الزيارة يكشف بوضوح عن تعلّقها بزيارته عليه السلام - لا ريب في أنّ عنوان (زيارة الأربعين) إنما يختص بزيارته عليه السلام في مناسبة الأربعين في مرتكزات المؤمنين وما هم عليه خلفاً عن سلف.

ولكن وقع الإشكال في تمامية سند هذه الرواية، إلّا أنه قد يبنى على تماميته من جهة أنه ليس فيه من يتوقف في وثاقته

(١) تهذيب الأحكام ج:٦ ص:١١٣، مصباح المتهجد ج:٢ ص:٧٨٨.

سوى رجلين:

١ ـ (سعدان بن مسلم) الذي لم يوثق في كتب الرجال، ولكنه من رجال كامل الزيارات[١] ومن مشايخ ابن أبي عمير[٢]، فيمكن البناء على وثاقته وفق المسلكين المعروفين فيهما، والمختار تمامية المسلك الثاني دون الأول.

٢ ـ محمد بن علي بن معمر، فإنه لم يوثق في كتب الرجال أيضاً، ولكن الملاحظ أن ابن النديم ذكره في فهرسته[٣] بعنوان (أبو الحسين.. بن معمر الكوفي) في عداد فقهاء الشيعة ومحدثيهم وعلمائهم، فيعرف أنه كان من المشاهير في عصره، وحيث لم يرد فيه طعن اقتضى ذلك قبول رواياته.

وأمّا (علي بن محمد بن مسعدة) فلا يضر عدم ثبوت وثاقته؛ لأن ابن معمر روى عنه وعن ابن فضال جميعاً، ويكفي وثاقة الثاني.

أقول: إنّ محمّد بن عليّ بن معمر ممن روى عن حمدان بن المعافى[٤] المتوفى سنة ٢٦٥، وعن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب[٥] المتوفى سنة ٢٦٢، وهما من الطبقة السابعة، وروى عنه الكليني[٦] وفرات بن إبراهيم[٧] وهما من الطبقة التاسعة، فيتعين أن يكون هو – أي ابن معمر ـ من الطبقة الثامنة، ولكن يظهر من رواية التلعكبري – وهو من الطبقة العاشرة ـ أنه طال به العمر حتى أدركه أصحاب تلك الطبقة أيضاً.

هذا من جانب، ومن جانب آخر فإنّ الحسن بن علي بن فضال من الطبقة السادسة، ولا يتسنى لابن معمر أن يروي عنه مباشرة، والمظنون قوياً أن حرف العطف (و) في قوله (والحسن بن علي بن فضال) مصحف حرف الجرّ (عن) كما وقع مثله في عشرات الموارد في كتب الحديث.

وعلى هذا، فإنّ علي بن محمد بن مسعدة ـ الذي هو حفيد مسعدة بن

(١) كامل الزيارات ص:٥٣٥.
(٢) الكافي ج:١ ص:١٧٨.
(٣) فهرست ابن النديم ص:٢٧٨.
(٤) الأمالي للطوسي ص:٦٣٠.
(٥) تهذيب الأحكام ج:٣ ص:٦٦.
(٦) الكافي ج:٨ ص:١٨.
(٧) الأمالي للصدوق ص:٨.

صدقة كما يظهر من بعض الأسانيد ويعدُّ من الطبقة السابعة؛ لأنه يروي عنه ابن معمر الـذي هو من الثامنة ووردت روايته عن عبد الرحمن بن أبي نجران الذي هو من السادسة مثل ابن فضال ـ يكون وسيطاً بين ابن معمر وابن فضال.

وبـذلـك يظهر أنّ الإشكـال في السند المذكور لا ينحصر في وقوع سعدان وابن معمر فيه ليدفع بما تقدّم، بل من جهة اشتماله على ابن مسعدة أيضاً، مضافاً إلى أن ما ذكر من أن كون ابن معمر من المشاهير مع عدم ورود الطعن فيه يكفي في قبول روايته إنما يتم على مسلك بعض الأعلام (قدس سره)، وهو غير تام على المختار كما أوضحته في موضع آخر، اللهم إلّا أن يقال إن عدّ ابن معمر من فقهاء الشيعة ومحدثيهم وعلمائهم يكفي في حدّ ذاته في الاعتماد على روايته، ولكنه محل تأمل.

هذا، ولكن يمكن أن يقال: إنه بالرّغم مما ذكر فإنه يمكن تقريب الاعتماد على الرواية المذكورة؛ لأن ابن معمر وابن مسعدة لم يكونا من أصحاب الكتب وإنـما من مشايخ اجازة كتب الآخرين، والملاحظ أن النجاشي[1] عدّ من كتب الحسن بن علي بن فضال (كتاب الـزيـارات)، والظاهر أن التلعكبري ـ الذي نصّ الشيخ[2] على أنه روى جميع الأصول والمصـنـفـات) إنـما استخرج روايـة صفوان المذكورة من ذلك الكتاب، وحيث إن كتب بني فضّال كانت مشهورة معروفة في ذلـك العصر ـ كما عليه شواهد مذكورة في محلّها ـ فلا حاجة في الاعتماد على ما استخرج منها إلى ملاحظة السند إليها.

فالمتجه البناء على تمامية سند الرواية المتقدّمة، وإمكان التعويل عليها في البناء على استحباب زيارة الأربعين بعنوانها.

[قبسات من علم الرجال]

(١) رجال النجاشي: ص:٣٦.
(٢) رجال الطوسي: ص:٤٤٩

نظرة إجمالية حول الكتب الأربعة عند الشيعة لإمامية

الشيخ حسن الجواهري

أمّا الكتب الأربعة عند الشيعة الإمامية وهي (الكافي، والتهذيب، والاستبصار، ومن لا يحضره الفقيه) لم يدَّعِ أحد من الشيعة ولا يمكن أن يدّعي – دعوى صحيحة– أنّ كلّ ما فيها هو من الصحيح الواقعي الذي قاله الرسول صلى الله عليه وآله أو أحد المعصومين الاثني عشر عندهم حسب عقيدتهم.

والدليل على صحة ما أقول هو ما سنبيّنه من خلال آراء علماء الشيعة بكلِّ كتاب منها:

أوّلاً: كتاب الكافي

إنَّه أقدم الكتب الأربعة، وهو لثقة الإسلام الكليني (أعلى الله مقامه الشريف) المتوفى سنة (٣٢٩ هـ)، وقد حوى هذا الكتاب ستة عشر ألف ومائة وواحداً وعشرين حديثاً، وقد قيل: إنَّ بعض علماء الطائفة الإمامية ذكر أنَّ في الكافي تسعة آلاف وأربعمائة وخمسة وثمانين حديثاً ضعيفاً، ونفس مؤلف الكتاب قد ذكر أنَّ كتابه يحتوي على الأخبار الصحيحة ولم يذكر أنَّ كل الأخبار التي في كتابه هي

أخبار صحيحة.

وهناك كتاب ألّفه أحد علماء الطائفة وهو المجلسي رحمه الله لشرح كتاب الكافي أسماهُ (مرآة العقول) يذكر فيه تقييمه لأحاديث الكافي، فيذكر ضعف ما يراه ضعيفاً منها، على أنَّ الخبر الصحيح في عرف القدماء هو الخبر الذي يلزم العمل به، من جهة اقترانه بقرائن توجب القطع بصدوره، وليس هو الخبر الذي يكون رواته كلهم إمامية عدولًا كما هو اصطلاح المتأخرين من الصحيح، وعلى هذا فإذا كانت تلك القرائن التي حصل منها القطع بالصدور عن الكليني هي غير معتبرة عندنا كقرينة على الصدور، حينئذٍ تكون الرواية غير صحيحة، ولا تكون شهادة الكليني نافعة لنا بصحة كل ما في كتابه على تقدير ورودها، ثم إنَّ كتاب الكافي يشتمل على روايات عن غير الإمام عليه السلام فكيف نقول: كل ما فيه معتبر؟!

وقد أُلِّف في عصرنا كتاب اسمه (صحيح الكافي) اعتبر من مجموع (١٦١٢١) حديثاً من أحاديث الكافي (٤٤٢٨) حديثاً مبهماً وترك (١١٦٩٣) حديثاً لم يوردها، وهي بحسب اجتهاده صحيحة.

وقد ذكر بعض العلماء فقال: «وأمّا ما قيل من أنَّ المهدي عليه السلام قال: إنَّ الكافي كافٍ لشيعتنا، فإنَّه قول مجهول (راويه)، ولم يسمع أحد اسمه، ويدلّ على بطلانه تأليف مئات كتب الحديث بمدرسة أهل البيت بعد الكافي مثل:

من لا يحضره الفقيه، ومدينة العلم، والتهذيب، والاستبصار، والبحار، ووسائل الشيعة، وجامع أحاديث الشيعة، إلى غيرها من كتب الحديث».

ثانياً: مَن لا يحضره الفقيه

وكذلك كتاب من لا يحضره الفقيه فإنَّه ذكر في آخر الكتاب أسانيده إلى أصحاب الكتب، ومعنى ذلك أنَّها ليست مقطوعة الصدور عنده، إضافة إلى أنه ذكر في خطبة كتابه قوله: «ولم أقصد فيه قصد المُصنِّفين من إيراد جميع ما رووه، بل قصدت إلى إيراد

ما أفتي به وأحكم بصحته وأعتقد أنَّه حجة فيما بيني وبين ربّي».

وهـذا الكلام بنفسه شهادة منه على عدم صحة جميع روايات الكافي عند الشيخ ابن بابويه مؤلف كتاب من لا يحضره الفقيه، وإلّا فإنَّ روايات من لا يحضره الفقيه أقل من روايات الكافي، فلو كانت روايات الكافي كلها صادرة من المعصوم عند ابن بابويه لما ألفّ هذا الكتاب إجابة لطلب السيد الشريف (أبي عبد الله المعروف بنعمة الله) فإنَّه قد طلب من الشيخ الصدوق أنْ يؤلف له كتاباً في الفقه ليكون إليه مرجعاً، وعليه يعتمد، ويكون شافياً في معناه، مثل ما أَلَّفه محمد بن زكريا الرازي وترجمه بكتاب (من لا يحضره الطبيب) بل كان على الشيخ الصدوق أنْ يقول للسيد نعمة الله: ارجع إلى كتاب الكافي فإنَّه شافٍ وكافٍ.

وقد يتوهم بأنّ الشيخ الصدوق شـهـد بـصـدور جميـع روايـاتـه عن المعصومين، حيث أنَّ الصحيح هو عند القدماء ما عُـلِـمَ صـدوره من المعصوم عليه السلام ولكنَّ هذا التوهّم باطل؛ حيث أنَّ الصدوق صرّح بأنَّ المراد من الصحيح ما كان حجةً بينه وبين الله تعالى، وهذا غير قطعي الصدور من المعصوم عليه السلام كما هو واضح. بالإضافة إلى صرّح بأنّه يتّبع شيخه ابن الوليد في القطع بالصدور وعدمه؛ لأنَّ القطع لا يمكن أن يُقلَّد فيه، ثمَّ إنَّ كتاب من لا يحضره الفقيه، يشتمل على خمسة آلاف وتسعمائة وثلاث وستين حديثاً على ما قيل، ولكنَّ قسماً كبيراً منها، يبلغ ألفين وخمسين حديثاً من المراسيل.

ثالثاً ورابعاً: التهذيب والاستبصار

وأمّا كتابا التهذيب والاستبصار اللّذان ألّفهما شيخ الطائفة الطوسي قدس سره فلاشكّ أنّـه لم يعتقد صـدور جميع روايـات كتابيْه، ولا سائر الكتب والأصول عن المعصومين عليهم السلام، ومن ثمَّ ذكر في آخر كتابه أنَّه يذكر طرقه إلى أرباب الكتب الذين روى عنهم في كتابه لتخرج الروايات بذلك من الإرسال إلى الإسناد، فإنَّ هذا الكلام صريح في أنَّ ما رواه في كتابه أخبار آحاد محتملة الصدق والكذب، فإنْ كان الطريق إليها معلوماً كانت من

الروايات المسندة، وإلّا فهي مرسلات وغير قابلة للاعتماد عليها.

هذا وقد ناقش الشيخ الطوسي نفسه قدس سره بعض الروايات بضعف السند فمن تلك الروايات:

١ - ما رواه عن الكليني بسنده عن عمران الزعفراني قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنَّ السماء تطبق علينا بالعراق اليومين أو الثلاثة فأيَّ يوم نصوم؟

قال: **انظر اليوم الذي صمت فيه من السَّنَة الماضية وصم يوم الخميس**».

وما رواه عنه بسنده عن عمران الزعفراني أيضاً قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: وإنَّما نمكث في الشتاء اليوم واليومين لا نرى شمساً ولا نجماً، فأيّ يوم نصوم ؟ قال: انظر اليوم الذي صُمْتَ فيه السنة الماضية وعدّ خمسة أيّام وصم اليوم الخامس» فإنَّه قال بعد روايتهما: «إنهما خبر واحد لا يوجبان علماً ولا عملًا؛ ولأنَّ راويهما عمران الزعفراني وهو مجهول، وفي إسناد الحديثيْن قوم ضعفاء لا نعمل بما يختصون بروايته».

وهـذا تصريح من نفس الشيخ الطوسي قدس سره بأنَّ كل رواية في الكافي وغيره إذا كان في سندها ضعف لا يعمل بها فيما إذا اختص الضعيف بروايتها.

وإذا رجعت إلى ما كتبه علماء الإمامية حول الكتب الأربعة، تجدهم يثبتون أنهم بصدد جمع الأحاديث التي رويت في الكتب الأربعمائة، لأصحاب الأئمة عليهم السلام خوفاً من ضياعها، ثم ذكْر الحجة فيما بينهم وبين الله في الفتيا، فاقتضت الأمانة العلمية في النقل أن يدونوا كل ما انتهى إليهم من تلك الأصول الأربعمائة ويذكروا طرقهم إليها في آخر الكتاب ليتسنّى لمن يجيء بعدهم النظر في أحاديثها.

[دعوة إلى الإصلاح الديني والثقافي]

اوراد تاريخية

الميدان الجديد

الشيخ راضي آل ياسين

لعلك تتّفق معي على أنَّ من أدقِّ المقاييس التي توزن بها شخصيات الرجال فيما يضطربون فيه من محاولات، هو موقفهم من شروطهم التي يأخذونها على أنفسهم راغبين مختارين، وما من انسان معنيّ بإنسانيته يعطي الشرط من نفسه، الا وانه ليعلم ما يستوبله في شخصيته وفي سمعته وفي ذمامه اذا هو حنث في شرطه أو رجع عن وعده أو نقض ميثاقه الذي واثق على الوفاء به، ومن السهل أن نتصور انساناً يستميت في سبيل الوفاء لقولٍ قاله أو عهدٍ أعطاه، لأنه انما يموت ضحية خلق رفيع خسر به الحياة المحدودة فربح به الحياة التي لا حدَّ لها، وبنى – الى ذلك – لبنةً جديدة في صرح الإنسانية المثالية التي لا تفتأ تتعاون على نشر الخير في المجموع.

أما ذلك الخائس بعهده الحانث بيمينه الكاذب بمواعيده، الذي بسم لصاحبه

وهو يخادعه على شروطه، ثم عبس وتولّى وندم على ما أعطى، فليس من السهل أن نتصوره انساناً، ولكنه عدو الانسانية بما هدم من قواعدها وشلَّ من مقرراتها، وعدوّ نفسه بما عرضها للنقمة والاحتقار وسوء السمعة والحرمان من ثقة المجتمع، ولن ينفعه -بعد ذلك- أن يقول أو يقال عنه: ان الغاية تبرر الواسطة - فإن هذا الاعتذار بذاته جريمةٌ كاملة لا يتسع لها صدر الغفران، وللغايات - على اختلافها - قيمتها الاعتبارية التي تواضع عليها الناس، فليكن لكل غايةٍ واسطتها التي تتناسب وغايتها في الاعتبار، ولن تكون الغاية شريفةً قطُّ الا اذا قامت على وسائط شريفةٍ أيضاً، وكان من الخير العام، أن يتواضع المجموع منذ بناية المجتمع، على اعتبار اليمين و العهد ضماناً في الأخذ والردّ، وأن تتضافر الاديان السماوية كلها على أن العهد كان مسؤولاً...

ولعلّ من الأفضل أن نستمع هنا إلى ما عهد به أمير المؤمنين علي عليه السلام للأشتر النخعي في هذا الموضوع، قال: «**وان عقدت بينك وبين عدوك عقدة، أو ألبسته منك ذمةً فحط عهدك بالوفاء، وارع ذمتك بالأمانة، واجعل نفسك جُنّة دون ما أعطيت فانه ليس من فرائض الله شيء الناس أشد عليه اجتماعاً مع تفرق أهوائهم وتشتت آرائهم، من تعظيم الوفاء بالعهود، وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين، لما استوبلوا من عواقب الغدر، فلا تغدرنّ بذمتك ولا تخيسنَّ بعهدك، ولا تختِلَنَّ عدوَّك، فانه لا يجترئ على الله إلّا جاهل شقي، وقد جعل الله عهده وذمته أمناً أفضاه بين العباد برحمته، وحريماً يسكنون إلى منعته ويستفيضون الى جواره...**».

أقول: وإذا رجعنا بعد الالمام بهذه الحقائق الى موضوعنا، رأينا أن الشروط التي أخذها الحسن بن علي عليه السلام على معاوية فيما تم بينهما من التعاهد على الصلح، كانت أكثر شروط عرفها التاريخ عهوداً مؤكدةً وأيماناً مغلَّظة، وكان معاوية هو الذي كتب نسختها الأخيرة بقلمه ووقعها بخاتمه.

ولم يكن بدعاً أن يترقب الرأي العام الاسلامي، يومها، الوفاء بها كما يجب لمثل هذه العهود والايمان، وكما هو الانسب بشخصيتين من هذا الطراز في الاسلام.

اما تلك المفاجأة الغريبة التي سبق إليها معاوية في خطابه على منبر الكوفة، ولما يمض على امضائه المعاهدة إلّا أيام ربما كانت لا تزيد على أسبوع واحد، فقد وقعت في المجتمع الاسلامي وقوع الصاعقة التي لا يسبقها انذار فقال: (على رواية المدائني):... وكل شرط شرطته فتحت قدميّ هاتين!، وصرَّح (على رواية أبي اسحق السبيعي) بقوله: ألا ان كل شيء أعطيته للحسن بن علي تحت قدمي هاتين لا أفي به!، ثم شهد عليه الحصين بن المنذر الرقاشي قائلاً: ما وفى معاوية للحسن بشيء مما أعطاه، قتل حجراً واصحاب حجر، وبايع لابنه، وسمَّ الحسن!![1].

وهكذا قدّر لهذا الرجل واسع الممتلكات ضيق الملكات أن يعود بعد حنثه بأيمانه علناً، ونقضه لمواثيقه صراحةً، أبعد الناس عن ثقة الناس، وأقلهم وزناً في المقاييس المعنوية التي يتواضع عليها الناس، وكان جزاءً وفاقاً، أن ينكره أكثر المغرورين بما كان أنكر هو عهوده ومواثيقه، وأن يضعوه من أنفسهم في المحل الذي وضع هو شروطه من نفسه.

وما يدرينا، فلعلنا الآن عند مفترق الطريق بين الماضي المغلوب والمستقبل الغالب، الذي سينكشف عنه الصراع التاريخي بين الحسن ومعاوية، ولعلنا الآن على أبواب الخطة الجبارة التي نزل الحسن بن علي عليه السلام من طريقها الى الصلح، والتي فرضت ارادتها على معاوية أبعد ما يكون في المعروف من دهائه عن الفشل في الخطط التي تمسه في الصميم من مصالحه.

وكان الحسن - كما نعلم - أعرف الناس بمعاوية وبحظه من الصدق والوفاء، وهو اذ يأخذ عليه الصيغ المغلّظة في الايمان والعهود، لا يقصد من ذلك الى التأكد من صدقه

(١) يراجع ابن ابي الحديد (ج ٤،ص ١٦ و٦ و٧).

أو وفائه، ولكن ليكشف للأغبياء قابليات الرجل في دينه وفي ذمامه وفي شرفه بالقول.

وانها للمبادأة الاولى التي ابتدأ الحسن عليه السلام زحفه منها الى ميدانه الثاني ومن هنا وضعَ أول حجرٍ في البناء الجديد لقضية أهل البيت عليهم السلام ثم مشى موكب الزمان، فاذا بالخطوات الموفَّقة تمشي وئيداً مع الزمان واذا بطلائع النجاح كفيالق الجيش التي تتلاحق تباعاً لتتعاون على الفتح، وان من الفتوح ما لا يعتمد في أداته على السلاح، ومنها ما يكون وسائله الاولية أشبه بالهزيمة، حتى ليخاله الناس تسليماً محضاً، ولكنه في منطق العقلاء، ظفر لامع وفتح مبين.

وكان من أبرز الخطوات التي وفقت اليها خطة الحسن عليه السلام عن طريق الصلح، في سبيل التشهير بمعاوية حياً وميتاً، والنكاية ببني أمية اطلاقاً:-

١ - أنها ألَّبَت على معاوية في بداية عهده الاستقلالي عدداً ضخماً من الشخصيات البارزة في المملكة الاسلامية فلعنه صراحةً بعضهم، وخبَثه آخر، وقرعه وجاهاً ثالث بل ثلاثة، وقاطعه رابع، وانكر عليه حتى مات غماً من فعاله كبير خامس، وقال فيه أحدهم: وكان والله غداراً، وقال الآخر[1]: اربع خصال كنَّ في معاوية لو لم يكن فيه منهن إلّا واحدة لكانت موبقةً.

وقابله على مثل ذلك كثير من سادة وسيدات، لسنا الآن بصدد احصائهم، أو استيعاب كلماتهم.

٢ - وخلقت له معارضة الطبقات التي شملتها بنود المعاهدة، سواء في الامان المفروض فيها، أو في الحقوق المالية المنصوص عليها فاذا بعالم عظيم من الناس أصبح ينظر الى معاوية نظره الى العدوّ الواتر في النفس والمال، بما نقضه من شروطهم، في نفوسهم

(١) كان الذي لعنه صاحبه سمرة، والذي وصفه بأخبث الناس صديقه المغيرة، وكان الذي قرعه وجاهاً عائشة وآخرون، والذي قاطعه مالك بن هبيرة السكوني، والذي مات غماً من فعاله الربيع بن زياد الحارثي، وكان السادس أبا اسحق السبيعي، والسابع الحسن البصري، ويراجع عن ذلك شرح النهج وابن الاثير ومروج الذهب وغيرها.

وأموالهم.

٣ – وظن معاوية أنه سيجعل من نقضه معاهدة الحسن وضعاً شكلياً لبيعة ابنه يزيد، يتغلب به على عنعنات الاسلام المقررة بين المسلمين في أمر البيعة وصلاحية الخلافة.

ولكنه لم يلبث أن اصطدم بالواقع، فإذا بهذه البيعة الجديدة مثار النقمة الاسلامية العامة التي أصبحت تتحسس منذ ترشيح يزيد للخلافة بنوايا بني أمية من الاسلام.

٤ – ثم كانت البوائق الدامية التي جهر بها معاوية بعد نقض الصلح، في قتله خيار المسلمين – من صحابة وتابعين – بغير ذنب، عوامل أخرى للتشهير به، ولتحطيم معنوياته المزعومة، تمشياً مع الخطة المكينة، التي أرادها الامام الحسن عليه السلام منذ قرر الاقدام على الصلح.

٥ – وقضية الحسين في كربلاء سنة (٦١هـ)، كبرى قضايا الحسن فيما مهد له من الزحف على عدوهما المشترك، وعدو أبيهما من قبل.

ولا ننسى أنه قال له يوم وفاته: «**ولا يوم كيومك أبا عبد الله**».

وهذه الكلمة على اختزالها –المقصود– هي الرمز الوحيد الذي سُمع من الحسن عليه السلام، فيما يشير به الى الخطة المقنَّعة بالسر، التي اعتورها الغموض من ست جهاتها، منذ يوم الصلح... وانك لتقرأ من هذه الكلمة لغة القائد الأعلى الذي يوزّع القواد لوقائعهم، ويوزع الايام لمناسباتها، ثم يميز أخاه ويوم أخيه فيقول: «**ولا يوم كيومك...**».

وكان من طبيعة الحال ان تبعث المناسبات الزمنية حلقات الخطة كلاً ليومها وكان لابد لكل حلقة أن توقظ الاخرى، وأن تؤرث السابقة اللاحقة، وتوقد الاولى جذوة الثانية، وهكذا دواليك.

وحسبَ الحسن عليه السلام لكل هذه الخطوات حسابها المناسب لها، منذ قاول معاوية على هذا الصلح المعلوم، ودرس – الى ذلك – نفسيات خصومه بما كانت تشرئب له من النقمة عليه وعلى أخيه وعلى شيعته وعلى أهدافه جميعاً، وكانت هذه المطالعات بنطاقها

الواسع، الاساس الذي بنى عليه الحسن خطواته المستقبلة فيما مهَّده لنفسه ولعدوه معاً.

وكان من طبيعة الحال، أن تلقي هذه الخطوات قيادتها الى الحسين عليه السلام فيما لو حيل بين الحسن عليه السلام وبين قيادتها بنفسه، وهذا هو ما أردناه في بداية هذا القول.

وهكذا كانت نهضة الحسين عليه السلام الخالدة الخطوة الجبارة في خطة أخيه العبقري العظيم.

ولا تزال فاجعة كربلاء التي استوعبتها كل لغات الارض، اللطخة السوداء التي صبغت تاريخ أمية بالعار، مادام لكربلاء رسم، ولامية اسم.

٦ - ثم لم تزل الخطة البعيدة الاهداف، تستعرض في الفترات المتقاربة التاريخ، بعد واقعة الحسين عليه السلام بكربلاء، سلسلة أحداث قانية انبثقت من صميم الوضع الأموي المتشابه في أكثر ملامحه - بين عهد معاوية وابن عمه الحمار-.

وعادت الاموية في عرف المسلمين المعنيين بإسلاميتهم الحكومة الجائرة المتغلبة بالظلم والاسراف وبالتحلل من كثير من النواميس الدينية، واشتدت نقمة الناس عليها مع تمادي الأيام، وكان أيّ علم يرفع لحرب بني أمية، لا يعدم الألوف وعشرات الالوف من المبايعين له على الموت.

اذن، فلتكن عملية الصلح - على هذا - البذرة المستمدة من صميم مصلحة الاسلام ومصلحة أهل البيت عليهم السلام، ومن الوحي ايضاً.

وليعد الحسن بن علي عليه السلام بعد أقل من قرن، الغالب المنتصر على الخصوم المغلوبين، المنهزمين في التاريخ.

خطوات موفقات، وسياسة صاعدة لا تبلغها السياسات، في صمت وتواضع واتئاد، وتحت ظل اصلاح وتسليم وحقن دماء.

وهل العظمة شيء آخر غير هذا، يا ترى؟

[صلح الحسن (عليه السلام)]

قتل الإمام الحسين عليه السلام هو الجريمة الأولى

فقيه أهل البيت آية الله العظمى السيّد
محمّد سعيد الحكيم (قدس سره)

ولا ينبغي الإشكال في أنّ أعظم جريمة من الناحية الواقعية - بل حتى العاطفية- في هذه الفاجعة المضة هو قتل شخص الإمام الحسين عليه السلام لما يتمتع به:

أولًا: من مقام ديني رفيع يستحق به الولاء والتقديس، كما يتضح بالرجوع إلى ما ورد في حقه وحق أهل بيته (صلوات الله عليهم) في الكتاب المجيد، وعلى لسان النبي صلى الله عليه وآله مما لا يسعنا استيعابه بإيجاز، فضلًا عن تفصيل الكلام فيه. ولا سيما مع وضوحه وشيوعه، وتيسر الاطلاع عليه بالرجوع للمصادر الكثيرة للفريقين.

وإذا اختصّ الشيعة بالقول بالنصّ الإلهي على إمامة الحسين (صلوات الله عليه)، وأنه هو الإمام الحق دون غيره، فلا إشكال بين المسلمين قاطبة في أنه عليه السلام في عصره هو الرجل الأول في المسلمين، أفضلهم عند الله عز وجل، وأرفعهم مقاماً، وأعظمهم كرامة، وأولاهم بالإمامة من غيره.

وقال البلاذري: «وكان رجال من أهل العراق ولثمان أهل الحجاز يختلفون إلى الحسين يجلّونه ويعظّمونه، ويذكرون فضله، ويدعونه إلى أنفسهم، ويقولون: إنا لك عضد ويد. ليتخذوا الوسيلة إليه، وهم لا يشكّون في أن معاوية إذا مات لم يعدل الناس بحسين أحداً»(١)

وثانياً: من قربه من النبي صلى الله عليه وآله، فهو بقية أهل البيت الذين كان صلى الله عليه وآله يخصهم بعواطفه وألطافه، ولازال بقايا الصحابة يذكرون مفردات ذلك، ويحدثون به.

حتى أن غير واحد من الصحابة أنكروا على عبيد الله بن زياد ويزيد بن معاوية حينما أخذا ينكتان ثغر الإمام الحسين (صلوات الله عليه) بالقضيب لما وضع رأسه بين أيديهما، وذكروا لهما أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقبّل ثغره، كأنس بن مالك (ينظر: مجمع الزوائد: ج٩، ص١٩٥، المعجم الكبير: ج٣، ص١٢٥)، وزيد بن أرقم (ينظر: مجمع الزوائد: ج٩، ص١٩٥، المعجم الكبير: ج٥، ص٢٠٦، ٢١٠، تاريخ دمشق ج: ١٤ ص: ٢٣٦)، وأبو برزة الأسلمي (ينظر: أسد الغابة: ج٥، ص٢٠، تهذيب الكمال: ج٦، ص٤٢٨ - ٤٢٩)، وربما غيرهم (ينظر: ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من طبقات ابن سعد: ص٨٢، ح٢٩٦).

وبالجملة: كان الناس إذا رأوا الحسين (صلوات الله عليه) ذكروا رسول الله صلى الله عليه وآله وتذكروا مشاهده معه، وما كان يبديه نحوه من مظاهر الحب والحنان والتكريم والتبجيل، وذلك يوجب مزيداً من الانشداد الديني والعاطفي نحوه عليه السلام.

وثالثاً: من مؤهلات شخصية من عقل ودين واستقامة وشجاعة وعلم

(١) ينظر: أنساب الأشراف: ج٣، ص ٣٦٦.

وعمل وخلق وسلوك وسخاء وحسن معاشرة ومخالطة مع الناس... إلى غير ذلك مما يفرض حب الخاصة والعامة له عليه السلام، واحترامهم إياه، وانشدادهم نحوه.

حتى أنه عليه السلام لما كتب إلى معاوية ينكر عليه جملة من موبقاته قيل لمعاوية: «اكتب إليه كتاباً تعيبه وأباه فيه»، فقال: «ما عسيت فيه أن أقول في أبيه إلّا أن أكذب، ومثلي لا يعيب أحداً بالباطل، وما عسيت أن أقول في حسين ولست أراه للعيب موضعاً...»[1].

حيث يأتي عن شبث بن ربعي في حديث له عن قتل الإمام الحسين أنه عليه السلام: خير أهل الأرض،[2] وعن معاوية أنّ الحسين عليه السلام أحبّ الناس إلى الناس[3].

وفي حديث محمد ابن الحنفية مع الإمام الحسين عليه السلام قال: «إني أخاف أن تدخل مصراً من هذه الأمصار، وتأتي جماعة من الناس، فيختلفون بينهم، فمنهم طائفة معك وأخرى عليك، فيقتتلون، فتكون لأول الأسنة، فإذا خير هذه الأمة كلها، نفساً وأباً وأماً، أضيعها دماً، وأذلها أهلًا»[4].

وورد عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن الإمام الحسين عليه السلام مرّ على جماعة هو فيهم، فقال: «ألا أخبركم بأحبِّ أهل الأرض إلى أهل السماء؟» قالوا: بلى. قال: «هو هذا الماشي. ما كلمني كلمة منذ ليالي صفين، ولئن يرضى عنّي أحبّ إليّ من أن تكون لي حمر النعم»[5].

وفي حديث للفرزدق: «هذا الحسين ابن فاطمة الزهراء بنت محمّد المصطفى صلى الله عليه وآله. هذا والله خيرة الله، وأفضل مَن مشى على الأرض من خلق الله...»[6].

وعنه أيضاً أنه قال للإمام الحسين عليه السلام: «أنت أحبّ الناس

(١) أنساب الأشراف: ج ٣، ص ٣٦٧.
(٢) تاريخ الطبري: ج٤، ص٣٣٢.
(٣) تاريخ دمشق: ج١٤، ص٢٠٦.
(٤) تاريخ الطبري: ج٤، ص٢٥٣.
(٥) تاريخ دمشق: ج٣١، ص٢٧٥.
(٦) مقتل الحسين للخوارزمي: ج١، ص٢٢٣.

إلى الناس، والسيوف مع بني أمية، والقضاء في السماء»[1].

وفي حديث لعبد الله بن مطيع مع الإمام الحسين عليه السلام وهو في طريقه إلى مكة قال له فيه: «فالزم الحرم، فإنك سيد العرب في دهرك هذا...»[2].

وقال ابن الأثير: «فقال الناس لسنان بن أنس النخعي: قتلت الحسين بن علي وابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله. قتلت أعظم الناس خطراً...»[3] وقد قال من شقي بحمل رأسه الشريف مخاطباً أسياده الظالمين:

أوقر ركابي فضة وذهباً
إني قتلت السيد المحجبا
قتلت خير الناس أماً وأبا
وخيرهم إذ ينسبون نسبا[4].

وقد جاء في كتاب عبد الله بن جعفر له عليه السلام محاولًا صرفه عن المسير: «أما بعد، فإني أسألك بالله لما انصرفت حين تقرأ كتابي هذا، فإني مشفق عليك من هذا الوجه أن يكون فيه هلاكك، واستئصال أهل بيتك، إن هلكت اليوم طفئ نور الأرض، فإنك علم المهتدين، ورجاء المؤمنين، فلا تعجل...»[5].

وقال عبد الله بن مطيع: «أذكرك الله - يا ابن رسول الله - وحرمة الإسلام أن تنتهك، أنشدك الله في حرمة قريش، أنشدك الله في حرمة العرب. فوالله لئن طلبت ما في أيدي بني أمية ليقتلنك، ولئن قتلوك لا يهابون بعدك أحداً أبداً...»[6].

وروى ابن سعد مسنداً قال: «مرّ حسين بن علي على ابن مطيع، وهو ببئره قد أنبطها، فنزل حسين عن راحلته، فاحتمله ابن مطيع احتمالًا حتى وضعه على سريره، ثمّ قال: بأبي وأمي أمسك علينا نفسك. فوالله لئن قتلوك ليتخذنا هؤلاء القوم عبيداً»[7].

وعنه أيضاً أنه قال للإمام الحسين عليه السلام:

(١) تاريخ دمشق: ج٥٠، ص٢٨٥، ٢٨٦.
(٢) مقتل الحسين للخوارزمي: ج١، ص١٨٩، الفتوح لابن أعثم: ج٥، ص٢٥.
(٣) الكامل في التاريخ: ج٤، ص٧٩.
(٤) المصدر السابق: ج٤، ص٧٩.
(٥) الكامل في التاريخ: ج٤، ص٤٠.
(٦) الإرشاد: ج٢، ص٧٢، تاريخ الطبري: ج٤، ص٢٩٨.
(٧) الطبقات الكبرى: ج٥، ص١٤٥.

«ووالله لئن قتلت لا بقيت حرمة بعدك إلا استحلت»[1].

وبنظير ذلك صرح الإمام الحسين عليه السلام نفسه في المعركة حينما اشتدّ به الحال، فقد صاح بصوت عالٍ: «**يا أمة السوء بئسما خلفتم محمداً في عترته. أما إنكم لن تقتلوا بعدي عبداً من عباد الله الصالحين فتهابوا قتله، بل يهون عليكم عند قتلكم إياي...**»[2].

وقال عليه السلام أيضاً: «**أما والله لا تقتلون بعدي عبداً من عباد الله، الله أسخط عليكم لقتله مني**»[3].. إلى غير ذلك.

[فاجعة الطف-أبعادها ثمراتها توقيتها]

(١) العقد الفريد: ج٤، ص٣٤٤، المحاسن والمساوئ: ج١، ص٢٦.

(٢) مقتل الحسين للخوارزمي: ج٢، ص٣٤، الفتوح لابن أعثم: ج٥، ص١٣٥.

(٣) تاريخ الطبري: ج٤، ص٣٤٦، الكامل في التاريخ: ج٤، ص٧٨.

الإمام الصادق (عليه السلام)
وأبو جعفر المنصور

العلامة الشيخ محمد الحسين المظفر

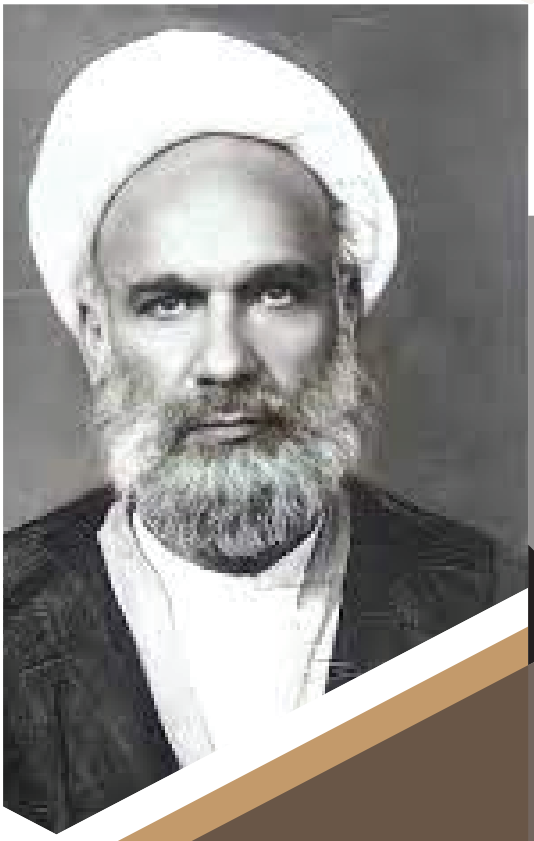

رُزِقَ أهل البيت فيما رُزِقُوا الحكمة وكفى بها فضيلة، ولربما تعجب من مواقف الصادق عليه السلام مع المنصور ورجاله فإنك تارة تجده يلين بالقول ويجهد في براءته وأُخرى يلاقيهم بالشدّة والعنف دون أن يعترف بشيء وإن أساءهم موقفه.

والصادق أعرف بما يقول ويفعل، فقد يلين إن عرف أن اللين أسلم، وقد يخشن إذا عرف أن الخشونة ألزم، وليس اللين محموداً في جميع الأوقات والحالات، غير أنّ التمييز بين المواقف يحتاج الى حكمة وعرفان، فبينا تجده يخاطب المنصور بقوله: «**والله ما فعلت ولا استحلُّ ذلك ولا هو من مذهبي وإني ممّن يعتقد طاعتك في كلّ حال وقد بلغت من السنّ ما قد أضعفني عن ذلك لو أردته فصيرّني في بعض حبوسك حتّى يأتيني الموت فهو منّي قريب**»، وإذا به يقول للمنصور على لسان الرسول: «**فإن**

كففت وإلا أجريت اسمك على الله عزّ وجل في كلّ يوم خمس مرّات» الى كثير من الموقفين، كما عرفت كثيراً من مواقف اللين، وستعرف الآن بعض المواقف من الشدّة.

إنّا وإن غبنا عن ذلك العهد لكننا لم نغب عن معرفة نفسيّة الامام الصادق عليه السلام ونفسيّة الدوانيقي، كما لم نغب عن تأريخ الحوادث في ذلك العهد.

إن المنصور وإن مَلك البلاد باسم الخلافة لكنه يعلم أن صاحبها حقاً هو الصادق عليه السلام، وأنه صاحب كلِّ فضيلة وأنه لو أراد الأمر لم يطق المنصور أن يحول دونه، فمن ثمّ تراه أحياناً يصفح عن وخزات الصادق عليه السلام لا يريد أن تزداد الملاحاة في الكلام فتثير كوامن النفوس فتهيج ما يخافه من وثبة وثورة، غير أن شدّة الحبّ للمُلك والمُلك عقيم، والحبّ يعمي ويصمّ، تبعث المنصور على الاساءة للصادق عليه السلام والسعي لإهلاكه، فإذا عرف الصادق عليه السلام أن الموقف من الأوّل انبعث لإظهار الحقّ، وأن الموقف من الثاني قابله بلين ليكفّ بغيه وعدوانه.

وها نحن أوّلاً نورد بعض ما كان من الصادق عليه السلام مع المنصور وولاته من المواقف التي يعلن فيها بالحقّ غير مكترث بما له من سطوة ولولاته من قسوة.

سأل المنصور الصادق عليه السلام يوماً عن الذباب وهو يتطايح على وجهه حتّى أضجره فقال له: يا أبا عبد الله لِمَ خلق الله الذباب ؟ فقال الصادق عليه السلام: **ليذلّ به الجبابرة**[1] فسكت المنصور علماً منه أنّه لو ردّ عليه لوخزه بما هو أمضّ جرحاً، وأنفذ طعناً.

وكتب إليه المنصور مرّة: لِمَ لا تغشانا كما تغشانا الناس؟ فأجابه الصادق عليه السلام: «**ليس لنا ما نخافك من أجله، ولا عندك من أمر الآخرة ما نرجوك له، ولا أنت في نعمة فنهنّيك، ولا تراها نقمة فنعزّيك، فما نصنع عندك**» فكتب إليه: تصحبنا لتنصحنا، فأجابه: «**من أراد الدنيا لا ينصحك، ومن أراد الآخرة لا يصحبك**» فقال

(١) نور الأبصار للشبلنجي: ص ١٤١.

المنصور: والله لقد ميز عندي منازل من يريد الدنيا ممّن يريد الآخرة، وإنه ممّن يريد الآخرة لا الدنيا[1].

أقول: إن المنصور ما أراد النصيحة لما يصلحه، ولو أراد صلاح نفسه لاعتزل الأمر لئلا يبوء بإثم هذه الأُمّة، ولكنه أراد أن يستصفي الصادق عليه السلام ويجعله من أتباعه، فيعلم الناس أنه الامام غير مدافع، وتنقطع الشيعة عن مراجعة الصادق، ويظهر لهم أنه تبع للمنصور، والامام لا يكون تبعاً لأرباب السلطان باختياره، والصادق عليه السلام لا يخفى عليه قصد المنصور.

وكلمته هذه تعطينا درساً بليغاً عن مواقف الناس مع الملوك والأُمراء وعن منازل المتزلّفين اليهم، وكيف يجب أن تكون مواقف رجال الدين معهم.

واستقدمه المنصور مرّة وهو غضبان عليه، فلمّا دخل عليه الصادق عليه السلام، قال له: يا جعفر قد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لأبيك عليّ بن أبي طالب عليه السلام: **لولا أن تقول فيك طوائف من أُمّتي ما قالت النصارى في المسيح لقلت فيك قولاً لا تمرّ بملأ إلا أخذوا من تراب قدميك يستشفون به**، وقال علي عليه السلام: **يهلك فيّ اثنان ولا ذنب لي: محبّ غال ومبغض مفرط**، قال: ذلك اعتذاراً منه أنه لا يرضى بما يقول فيه الغالي والمفرط، ولعمري أن عيسى ابن مريم عليه السلام لو سكت عمّا قالت النصارى فيه لعذبه الله، ولقد تعلم ما يقال فيك من الزور والبهتان، وإمساكك عن ذلك ورضاك به سخط الديّان، زعم أوغاد الحجاز ورعاع الناس أنك حبر الدهر وناموسه، وحجّة المعبود وترجمانه، وعيبة علمه وميزان قسطه، ومصباحه الذي يقطع به الطالب عرض الظلمة الى ضياء النور، وأن الله لا يقبل من عامل جهل حدّك في الدنيا عملاً، ولا يرفع له يوم القيامة وزناً، فنسبوك إلى غير حدّك، وقالوا فيك ما ليس فيك، فقل، فإن أوّل من قال الحقّ جدّك، وأوّل من صدقه عليه أبوك، وأنت

(١) كشف الغمّة في أحوال الصادق عليه السلام عن تذكرة ابن حمدون: ٢/ ٢٠٨.

حريّ أن تقتصّ آثارهما، وتسلك سبيلهما.

فقال عليه السلام: أنا فرع من فروع الزيتونة، وقنديل من قناديل بيت النبوّة، وأديب السفرة، وربيب الكرام البررة، ومصباح من مصابيح المشكاة التي فيها نور النور، وصفوة الكلمة الباقية في عقب المصطفين الى يوم الحشر.

فالتفت المنصور الى جلسائه فقال: هذا قد حالني على بحر مواج لا يدرك طرفه ولا يبلغ عمقه، تحار فيه العلماء، ويغرق فيه السبحاء ويضيق بالسابح عرض الفضاء، هذا الشجى المعترض في حلوق الخلفاء، الّذي لا يجوز نفيه، ولا يحلّ قتله، ولولا ما تجمعني وإيّاه شجرة طاب أصلها وبسق فرعها، وعذب ثمرها، وبوركت في الذر، وقدّست في الزبر، لكان منّي ما لا يحمد في العواقب، لما يبلغني عنه من شدّة عيبه لنا وسوء القول فينا.

فقال الصادق عليه السلام: لا تقبل في ذي رحمك وأهل الرعاية من أهل بيتك قول من حرّم الله عليه الجنّة، وجعل مأواه النار، فإن النمّام شاهد زور، وشريك إبليس في الإغراء بين الناس فقد قال الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾[1] ونحن لك أنصار وأعوان، وللملك دعائم وأركان، ما أمرت بالمعروف والاحسان، وأمضيت في الرعيّة أحكام القرآن، وأرغمت بطاعتك لله أنف الشيطان، وإن كان يجب عليك في سعة فهمك، وكثرة علمك، ومعرفتك بآداب الله أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمّن ظلمك، فإن المكافئ ليس بالواصل، إنما الواصل من إذا قطعته رحمه وصلها، فصل رحمك يزد الله في عمرك، ويخفّف عنك الحساب يوم حشرك.

فقال المنصور: قد صفحت عنك لقدرك، وتجاوزت عنك لصدقك، فحدّثني عن نفسك بحديث أتعظ به ويكون لي زاجر صدق عن الموبقات،

(١) سورة الحجرات: آية ٦.

فقال الصادق عليه السلام:

عليك بالحلم فإنه ركن العلم، واملك نفسك عند أسباب القدرة فإنك إن تفعل ما تقدر عليه كنت كمن شفى غيظاً، أو تداوى حقداً أو يحبّ أن يذكر بالصولة، واعلم بأنك إن عاقبت مستحقّاً لم تكن غاية ما توصف به إلا العدل، والحال التي توجب الشكر أفضل من الحال التي توجب الصبر.

فقال المنصور: وعظت فأحسنت، وقلت فأوجزت[1].

أقول: إن أمثال هذه المواقف تعطيك دروساً وافيه عمّا كان عليه أهل ذلك العصر من سياسة وعلم واعتقادها وغيرها، وهنا نستطيع أن نتعرّف عدّة أُمور:

١- إن المنصور يريد ألا يظهر الصادق بمظهر الامامة فحاول أن يخدعه أمام الناس بتلك الكلمات الليّنة، وهنا تعرف دهاء المنصور، لأن العبّاسيّين إنما تربّعوا على الدست باسم الامامة والخلافة، فلو كان هناك إمام آخر يرى شطراً من الأُمّة أنه صاحب المنبر والتاج لا يتمّ لهم أمر، وهو يريد ألا يعارضه أحد في سلطانهم، فكان المنصور يدفع عن عرشه بالشدّة مرّة وباللين أُخرى فكان من سياسته أن جابه الصادق عليه السلام أمام ملأ من الناس بهذا القول وحسب أنّ الصادق عليه السلام سوف يبطل ما يقوله الناس فيه، وبه يحصل ما يريد، وهو يعلم أنّ الصادق عليه السلام لا يجابهه بالردّ، حذراً من سطوته.

٢- إن الصادق عليه السلام إمام بجعل إلهي كما يرى ذلك ويراه الشيعة فيه، والإمامة في أهل البيت وفي الصادق عليه السلام ليست وليدة عصر المنصور، وإنما هي من عهد صاحب الرسالة، فالامام الصادق عليه السلام وقع بين لحيي لهذا فإنه إن جارى المنصور فقد أبطل إمامة إلهية، وإن عارضه لا يأمن من شرّه، فمن ثمّ أجابه بكلمات مجملة لا تصرّح بالامامة ولا تبطل قول الناس فيه، ولذا قال المنصور: هذا قد حالني على بحر موّاج لا يدرك طرفه.

(١) بحار الأنوار: ٤٧/ ١٦٨ في أحوال الصادق عليه السلام.

٣- إن قول الشيعة في الامام من ذلك اليوم على ما هو عليه اليوم، وهذا ما تقتضيه أُصول المذهب، وتدلّ عليه أخبار أهل البيت وآثارهم.

٤- إن سكوت الامام الصادق عليه السلام وعدم إبطاله لأن يكون كما يقول الناس برهان على أن حقيقة الامامة كما يحكيها المنصور عن الناس، ولو كانت حقيقتها غير هذا لقال الصادق عليه السلام: إن هذا الرأي والقول باطل، بل لوجب عليه إعلام الناس ببطلانه وردعهم عن هذا المعتقد.

٥- إن القائل بإمامة الصادق عليه السلام خلق كثير من الناس، ممّا جعل المنصور يفكّر فيه ويخشى من اتساعه ومن عقباه، فحاول أن يتذرّع بالصادق لمكافحته.

٦- إن المرء بأصغريه، فالإمام الصادق عليه السلام لو لم تسبق الأخبار والآثار عن منزلته، لكان في مثل كلامه ومثل موقفه هذا دلالة على ما له من مقام، أتراه كيف حاد عن جواب المنصور بما حيّره، دون أن يصرّح بخلاف ما حكاه عن الشيعة، ودون أن يصرّح بصحّة ما يرون، وكيف وعيت ذلك البيان منه عن نفسه، ببليغ من القول، وجليل من المعنى، وكيف وعظ المنصور بما يوافق شأن الملوك، وما يتفق وابتلاءهم كثيراً ؟

وهذا بعض ما يمكن استنباطه من هذا الموقف وفهم حال الناس ذلك اليوم، وكفى به عن سواه.

ودخل على المنصور في إحدى جيئاته فاستقبله الربيع بالباب وقال له: يا أبا عبد الله ما أشدّ تلظّيه عليك لقد سمعته يقول: **والله لا تركت له نخلاً إلا عقرته، ولا مالاً إلا نهبته، ولا ذرّية إلا سبيتها**، فلمّا دخل وسلّم وقعد قال له المنصور: أما والله لقد هممت ألا أترك لكم نخلاً إلا عقرته، ولا مالاً إلا أخذته، فقال له الصادق عليه السلام: **يا أمير المؤمنين إن الله عزّ وجلّ ابتلى أيوب فصبر، وأعطى داود فشكر، وقدر يوسف فغفر، وأنت من ذلك النسل ولا يأتي ذلك النسل إلا بما يشبهه**، فقال: صدقت قد عفوت عنكم، فقال الصادق عليه السلام: **إنه لم ينل أحد منّا أهل**

البيت دماً إلا سلبه الله مُلكه، فغضب لذلك واستشاط، فقال: على رسلك إن هذا المُلك كان في آل أبي سفيان فلمّا قتل يزيد حسيناً عليه السلام سلبه الله مُلكه، فورثه آل مروان فلمّا قتل هشام زيداً سلبه الله ملكه فورثه مروان بن محمّد، فلمّا قتل مروان إبراهيم سلبه الله مُلكه وأعطاكموه فقال: صدقت[1].

أقول: إن الصادق عليه السلام ما اعتذر عن قوله الأول، وإنما جاء بالشواهد عليه، سوى إنه استعرض ذكر أخيه إبراهيم ليكفّ بذلك شرّه.

وللصادق عليه السلام مواقف كثيرة على غرار ما ذكرناه اجتزينا عنها بما أوردناه.

وكانت للصادق عليه السلام مواقف مع بعض ولاة المنصور ورجاله تشبه مواقفه مع المنصور في الشدّة، جاء إلى المدينة والياً من قبل المنصور بعد مقتل محمّد وإبراهيم رجل يقال له شيبة بن عفال، يقول عبد الله بن سليمان التميمي: فلمّا حضرت الجمعة صار الى مسجد الرسول صلى الله عليه وآله فرقى المنبر وحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: أمّا بعد فإن عليّ بن أبي طالب شقّ عصا المسلمين وحارب المؤمنين، وأراد الأمر لنفسه، ومنعه أهله، فحرّمه الله عليه، وأماته بغصّته، وهؤلاء ولده يتبعون أثره في الفساد وطلب الأمر بغير استحقاق له فهم في نواحي الأرض مقتولون، وبالدماء مضرّجون.

فعظم هذا الكلام منه على الناس، ولم يجسر أحد منهم أن ينطق بحرف فقام اليه رجل فقال: ونحمد الله ونصلّي على محمّد خاتم النبيين وسيّد المرسلين وعلى رسل الله وأنبيائه أجمعين، أمّا ما قلت من خير فنحن أهله، وأمّا ما قلت من سوء فأنت وصاحبك به أولى، فاختبر يا من ركب غير راحلته وأكل غير زاده إرجع مأزوراً.

ثمّ أقبل على الناس فقال: ألا أنبئكم بأخلى الناس ميزاناً يوم القيامة وأبينهم خسراناً، من باع آخرته بدنيا غيره، وهو هذا الفاسق، فأسكت الناس وخرج الوالي من المسجد لم

(١) الكافي: كتاب الدعاء، باب الدعاء للكرب والهمّ والحزن: ٢/ ٥٦٣.

ينطق بحرف، فسألت عن الرجل، فقيل لي: هـذا جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب (صلوات الله عليهم أجمعين)[1].

وعن الصادق عليه السلام أنه قال: **كنت عند زياد بن عبد الله وجماعة من أهل بيتي، فقال: يا بني فاطمة ما فضلكم على الناس؟ فسكتوا، فقلت: إِن من فضلنا على الناس إِنّا لا نحبّ أن نكون من أحد سوانا، وليس أحد من الناس لا يحبّ أن يكون منّا**[2].

أقـول: لـقـد جـاءه بالمسكت وهذه الكلمة على اختصارها جمعت الفضائل واغنت عن الدلائل.

وكـان داود بـن عـلي بـن عبد الله بن العبّاس والياً على المدينة من قِبل المنصور، فأرسل خلف المعلّى بن خنيس مـولى الصادق عليه السلام، وأراد أن يدلّه على أصحاب الصادق عليه السلام وخـواصّـه، فتجاهل عليه المعلّى بمعرفتهم، فـألـحَّ عليه ثـمّ هـدّده بالقتل، فقال له المعلّى: أبالقتل تهدّدني والله لو كانوا تحت قدمي ما رفعت قدمي عنهم، وإِن أنت قتلتني تسعدني وأشقيتك، فلمّا رأى داود شدّة امتناع المعلّى قتله واستلب أمواله وكانت للصادق عليه السلام.

فلما بلغ الصادق عليه السلام ذلـك قام مغضباً يجرّ رداءه ودخـل على داود وقال له: **قتلت مولاي وأخذت مالي، أما علمت أن الرجل ينام على الثكل ولا ينام على الحرب**.

ثـمّ أن الصادق عليه السلام طلب منه القود، فقدّم له قاتله فقتله به، وهو صاحب شرطته، ولمّا قدّموه ليقتل اقتصاصاً جعل يصيح: يأمروننني أن أقتل لهم الناس ثم يقتلونني.

ثمّ أن داود بعد ذلك أرسل خمسة من الحرس خلف الصادق عليه السلام وقال لهم: ائتوني به فإن أبى فأتوني برأسه، فدخلوا عليه وهو يصلّي فقالوا: أجب داود، قال: فإن لم اجب، قالوا: أُمرنا بأمر، قال عليه السلام: **فانصرفوا فإنه خير**

---

(١) مجالس الشيخ الطوسي طاب ثراه، المجلس الثاني.

(٢) بحار الأنوار: ٤٧/ ١٦٦/ ٨ في أحوال الصادق عليه السلام.

لكم في دنياكم وآخرتكم، فأبوا إلا خروجه، فرفع يديه فوضعهما على منكبيه ثمّ بسطهما، ثمّ دعا بسبابته فسمع يقول: الساعة الساعة، حتّى سمع صارخ عال، فقال لهم: إن صاحبكم قد مات فانصرفوا.

أقول: هذه بعض مواقفه من رجال المنصور دعاه الى الشدّة فيها الغضب للحق، حين وجد أن الكلام أولى من السكوت، وإن أبدى فيها صفحته للسيف.

[الإمام جعفر الصادق عليه السلام]

أفضلية أهل البيت (عليهم السلام)

فخر الدين الرازي (أحد أعلام العامة)

إنّ أشرف الأنساب هو القرب من رسول الله، وهو كان أقرب الناس في النسب إلى رسول الله ﷺ.

وأما العباس، فإنه وان كان عم رسول الله ﷺ، إلّا أنّ العباس كان أخاً لعبد الله، والد رسول الله ﷺ، من الأب، لا من الأم، وأمّا أبو طالب فإنه كان أخاً لعبد الله والد رسول الله من الأب والأم.

وأيضاً: فإنّ علياً كان هاشمياً من الأب والأم؛ لأنه: علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم.

وأيضاً: أم علي بن أبي طالب: فاطمة بنت أسد بن هاشم.

ومنها: المصاهرة ولم يكن لأحد من الخلق مصاهرة مثل ما كانت له.

وأمّا (عثمان) فهو وان شركه في كونه صهراً للرسول، إلّا أنّ أشرف أولاد الرسول هي فاطمة؛ ولذلك قال عليه السلام: «**سيد نساء العالمين أربع**» وعدها: منهن.

ولم يحصل مثل هذا الشرف للبنتين اللتين هما زوجتا عثمان.

ومنها : أنه لم يكن لأحد من الصحابة

أولاد يشاركون أولاده في الفضيلة، كالحسن والحسين - وهما سيدا شباب أهل الجنة - ولداه.

ثم انظر إلى أولاد الحسن مثل الحسن - المثنى والمثلث - وعبد الله بن المثنى، والنفس الزكية. وإلى أولاد الحسين. مثل:

زين العابدين، والباقر، والصادق، والكاظم، والرضا، فإن هؤلاء الأكابر يقر بفضيلتهم وعلو درجتهم، كل مسلم.

وممّا يدلُّ على علوِّ شأنهم: أنّ أفضل المشايخ وأعلاهم درجة، هو «أبو يزيد البسطامي» وكان نشأ في دار جعفر الصادق، وأما معروف الكرخي، فإنه أسلم على يد علي بن موسى الرضا وكان بواب داره، وبقي على هذه الحال إلى آخر عمره. ومعلوم أن أمثال هذه الأولاد، لم يتفق لأحد من الصحابة.

ولو أخذنا في الشرح والاطناب لطال الكلام.

[الأربعين في أصول الدين]

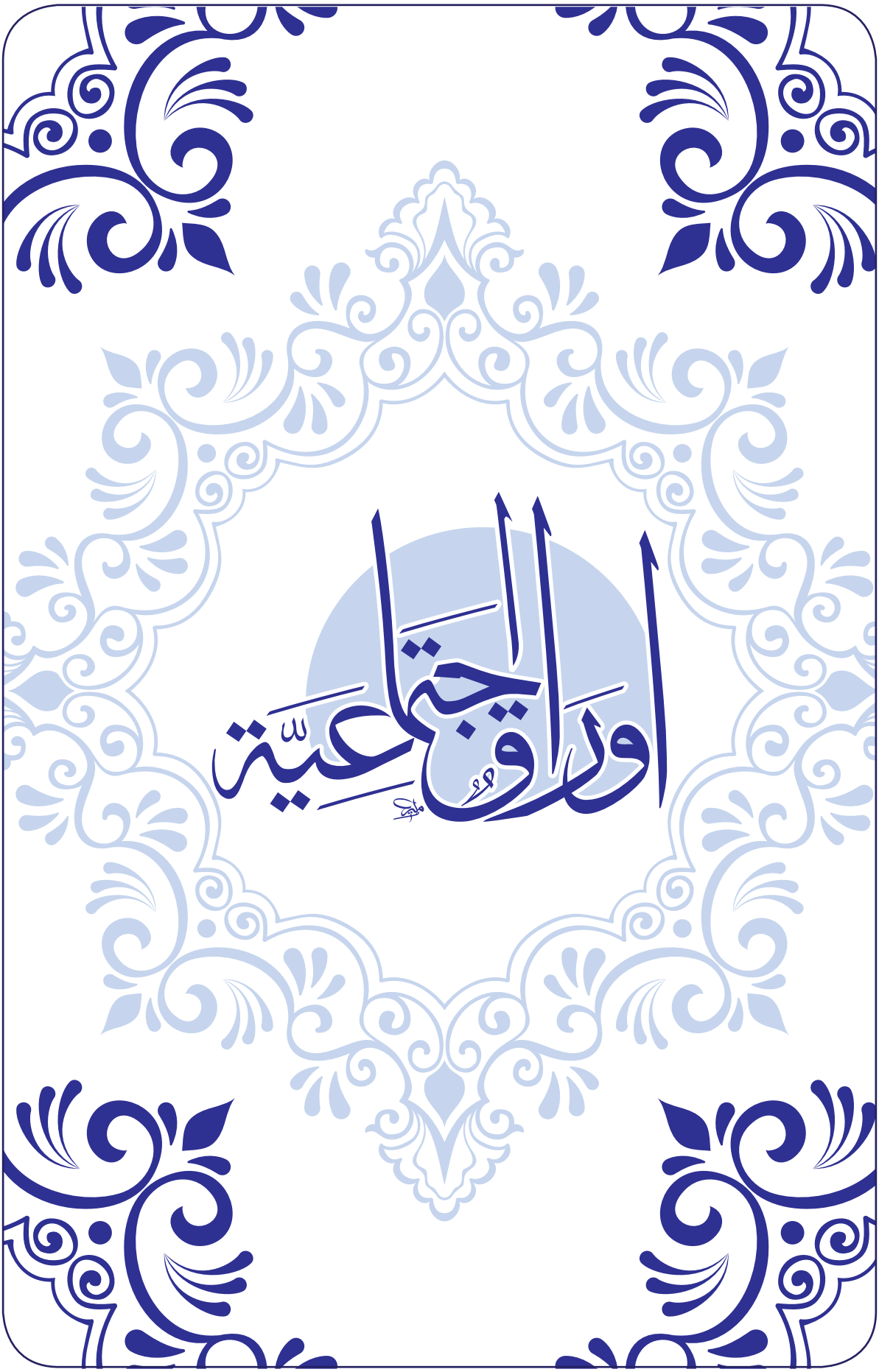
اوراق اجتماعية

موعظة عن الموت

العلّامة السيّد عليّ بن طاوس

إذا هيأ الإنسان جميع مهماته وفرغ من مصالحه لحياته وبعد وفاته وحضره رسول ربِّ العالمين بالانتقال فينبغي أن يفرح ويستبشر بهذه الحال، فإنّ مَن أحبّ لقاء الله أحبّ الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه.

فلا يغتر بمَن يقول أنَّا نكره الموت لأجل أننا لو بقينا زدنا في صالح الأعمال، فإنه لو كان هذا مرادنا بكراهة الموت والانتقال كان من أصلح أعمالنا والمعقول أن نمتثل أمر الله جل جلاله على لسان ملك الموت، ونتلقاه بالقبول ولا نعارض الله جل جلاله، ولا نرى تدبيرنا واختيارنا خيراً لأنفسنا من تدبيره، فإنّ العبد ليس له معارضة مولیه في كثير امره ويسيره.

ولا يغرنك من يقول: أنَّا أكره الموت؛ لأجل أن لنا سيئات فنحب البقاء حتى نستدركها قبل الممات، فإنّ هذا من خدائع الشيطان وإلّا فأنت أيها الكاره في وقت الامكان فاستدرك ما تقدر عليه في الحال، وما تعجز عنه فإن الله جل جلاله يعذرك ويقبل التوبة، ولا تجمع بين المخالفة له جل جلاله أولاً واخراً بكراهة القبول منه في الانتقال.

ولا يغرنك من يقول: إننا أخربنا الآخرة وعمرنا الدنيا، فنحن نكره الانتقال من العمران إلى الخراب، فإن هذا كلّه من غلط ذوي الألباب، وإلّا فأنت أيها الكاره قادر الآن -بالتوبة والندامة- على السلامة من خطر يوم القيامة وعلى عمارة دار المقامة، وإياك ومتابعة الغافلين، فإنّ سيّد المرسلين إنّما طعن على دعوى اليهود بأن قال لهم: ﴿فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[1].

فإذا كنتم أيها المسلمون الغافلون أيضاً للموت كارهين فقد انقلب سؤال الرسول صلى الله عليه وآله عليكم، وصرتم محجوجين بما احتجّ به على أعداء الدين.

[فلاح السائل]

(١) سورة البقرة: ٩٤.

علاج البُخل

السيد مهدي الصدر

البخل من النزعات الخسيسة، والخلال الماحقة، فجديرٌ بالعاقل علاجه ومكافحته، وإليك بعض النصائح العلاجيّة له:

١ - أنْ يستعرض محاسن الكرَم، ومساوئ البُخل، فذلك يُخفّف من سَورة البُخل.

وإنْ لم يُجدِ ذلك، كان على الشحيح أنْ يُخادع نفسه بتشويقها إلى السخاء، رغبةً في الثناء والسمعة، فإذا ما أنَس بالبذل، وارتاح إليه، هذّب نفسه بالإخلاص، وحبّب إليها البذل في سبيل الله عزّ وجل.

٢ - للبُخل أسبابٌ ودوافع، وعلاجه منوطٌ بعلاجها، وبدرء الأسباب تزول المسَّببات.

وأقوى دوافع الشحّ خوف الفقر، وهذا الخوف مِن نزَعات الشيطان، وإيحائه المثبِّط عن السخاء، وقد عالَج القرآن الكريم ذلك بأُسلوبه البديع الحكيم، فقرّر: أنّ الإمساك لا يُجدي البخيل نفعاً، وإنّما ينعكس عليه إفلاساً وحرماناً، فقال تعالى: ﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ

﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾(١).

وقرّر كذلك أنّ ما يسديه المرء من عوارف السخاء، لا تضيع هدراً، بل تعود مخلوقة على المُسدي، من الرزّاق الكريم، قال ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾(٢).

وهكذا يُضاعِف القرآن تشويقه إلى السخاء، مؤكّداً أنّ المُنفِق في سبيل الله هو كالمُقرِض لله عزّ وجل، وأنّه تعالى بلطفه الواسع يَرُدُّ عليه القرض أضعافاً مضاعفة: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾(٣).

أمّا الذين استرقّهم البُخل، ولم يُجدهم الإغراء والتشويق إلى السخاء، يوجّه القرآن إليهم تهديداً رهيباً، يملأ النفس ويهزُّ المشاعر: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾(٤).

ومن دواعي البُخل: اهتمام الآباء بمستقبل أبنائهم مِن بعدهم، فيضنّون بالمال توفيراً لأولادهم وليكون ذخيرةً لهم، تقيهم العوزَ والفاقة.

وهذه غريزة عاطفيّة راسخة في الإنسان، لا تضرّه ولا تجحف به، ما دامت سويّة معتدلة بعيدةً عن الإفراط والمغالاة.

بيد أنّه لا يليق بالعاقل، أنْ يسرف فيها، وينجرف بتيارها، مضحّياً بمصالحه الدنيويّة والدينيّة في سبيل أبنائه.

وقد حذّر القرآن الكريم الآباء مِن سطوة تلك العاطفة، وسيطرتها عليهم كيلا يفتتنوا بحبِّ أبنائهم،

(١) سورة محمد: ٣٨.
(٢) سورة سبأ: ٣٩.
(٣) سورة البقرة: ٢٦١.
(٤) سورة التوبة: ٣٤- ٣٥.

ويقترفوا في سبيلهم ما يُخالف الدين والضمير: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[1].

وأعظم بما قاله أمير المؤمنين عليه السلام في كتابٍ له: «أمّا بعد، فإنّ الذي في يدَيك من الدنيا، قد كان له أهلٌ قبلَك، وهو صائر إلى أهلٍ بعدك، وإنّما أنت جامع لأحدِ رجُلَين: رجلٌ عمَل فيما جمعته بطاعة الله، فسعِد بما شقيت به، أو رجُل عمَل فيه بمعصية الله فشقِيَ بما جمعت له، وليس أحد هذين أهلاً أنْ تؤثره على نفسك، وتحمل له على ظهرك فأرجو لِمن مضى رحمة الله، ولِمن بقيَ رزق الله».

وعن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾[2].

قال: «هو الرجل يدَع ماله لا ينفقه في طاعة الله بُخلاً، ثُمّ يموت فيدعه لِمَن يعمل فيه بطاعة الله، أو في معصية الله، فإنْ عمِل فيه بطاعة الله، رآه في ميزان غيره فرآه حسرةً، وقد كان المال له، وإنْ كان عمِل به في معصية الله، قوّاه بذلك المال حتّى عمل به في معصية الله»[3].

وهناك فئة تعشق المال لذاته، وتهيم بحبّه، دون أنْ تتّخذه وسيلةً إلى سعادةٍ دينيّةٍ أو دنيويّة وإنّما تجد أُنسها ومُتعتها في اكتناز المال فحسب، ومِن ثُمّ تبخل به أشد البُخل.

وهذا هوَس نفسي، يُشقي أربابه، ويوردهم المهالك، ليس المال غاية، وإنّما هو ذريعةً لمآرب المعاش أو المعاد، فإذا انتفت الذريعتان غدا المال تافهاً عديم النفع.

وكيف يكدَح المرء في جمع المال واكتنازه ثُمّ سرعان ما يَغنمه الوارث، ويتمتّع به، فيكون له المهنى وللمورث الوزر والعناء؟!

وقد استنكر القرآن الكريم هذا الهَوس، وأنذر أربابه إنذاراً رهيباً: ﴿كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ۞ وَلَا

(١) سورة الأنفال: ٢٨.
(٢) سورة البقرة: ١٦٧.
(٣) الوافي: ج ٦، ص ٦٩، عن الكافي والفقيه.

تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ۞ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا ۞ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ۞ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ۞ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۞ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ ۞ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ۞ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ۞ كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ۞ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ۞ نَارُ اللهِ الْمُوقَدَةُ ۞ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ۞ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ ۞ فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ ﴾[2].

وأبلغُ ما أثر في هذا المجال، كلمة أمير المؤمنين عليه السلام، وهي في القمّة من الحكمة وسموِّ المعنى، قال عليه السلام: «إنّما الدنيا فناءٌ وعناء، وغِيَر وعِبَر، فمِن فنائها: أنّك ترى الدهر مُوتِراً قوسَه، مفوّقاً نبله، لا تخطئ سهامه ولا تُشفى جراحه. يرمي الصحيحَ بالسقم، والحيَّ بالموت.

ومِن عنائها: أنَّ المرء يجمع ما لا يأكل، ويبني ما لا يسكن، ثُمّ يخرج إلى الله لا مالاً حَمَل ولا بناءً نقَل.

ومن غِيَرها: أنّك ترى المغبوط مرحوماً، والمرحوم مغبوطاً، ليس بينهم إلاّ نعيم زال وبؤس نزَل.

ومن عِبَرِها: أنّ المرء يُشرف على أملِه، فيتخطفه أجلُه، فلا أملٌ مدروك، ولا مؤمَّل مَتروك»[3].

[أخلاق أهل البيت عليهم السلام]

(١) سورة الفجر: ١٧ – ٢٣.

(٢) سورة الهمزة: ١ – ٩.

(٣) سفينة البحار: ج١، ص٤٦٧.

مشاكل الزواج في العصر الحاضر

العلامة الشيخ جعفر السبحاني

إن مشاكل الزواج في عصرنا الحاضر لا تنحصر ـ وللاسف ـ في مشكلة واحدة أو مشكلتين.

فالرجال والنساء اليوم يقدمون على الزواج ـ غالباً ـ في ظروف صعبة، وأوضاع رديئة، وتنتهي أكثر الزيجات بسبب تلك الظروف والاوضاع وبسبب، ما يلابسها من مستلزمات قاسية وثقيلة بالطلاق والافتراق بعد سلسلة من الخلافات والمنازعات.

فتلك هي صحف البلاد تحمل في أبوابها الاجتماعية كلّ يوم عشرات الانباء والأخبار عن الجرائم الزوجية وتعالج عشرات المشاكل في مجال العائلة.

ولكن أكثر هذه المشاكل والمصائب تدور حول قضية واحدة، وهي أن الفتيان والفتيات في مجتمعاتنا الحاضرة ليسوا بصدد تشكيل عائلة تضمن سعادتهم الواقعية.

فالبعض يهمّه من الزواج أن

يصل عن طريقه إلى المناصب الراقية الحساسة.

والبعض الآخر يهمّه من الزواج الحصول على الثروة والمال.

وقلّما يفكر المقدمون على الزواج، تأسيس العائلة في امور مهمة وجوهرية كالعفة والطهر، وإذا لوحظ هذا الجانب فإنما يلاحظ بصورة هامشية، لا أساسية.

ويدل على ذلك أن الشباب يتنافس غالبا على التزوج بفتيات من العوائل المعروفة ذات المكانة والشهرة الاجتماعية والمالية، والحال أنه يمكن أن تكون تلك الفتيات غير متصفات بالأخلاق النبيلة، ولا يكنّ من حيث الجانب المعنوي بالنوع الجيد، الجدير بالاهتمام، الصالح للاقتران به.

فما أكثر الفتيات الفاضلات، الطيبات هنا وهناك في زوايا المجتمع اللائي لا يهتم بهن الشباب، لفقرهنّ، وقلة ذات ايديهن، أو لعدم شهرة عوائلهن.

على أن الأسوأ من ذلك كلّه ما اصبح يكلّفه الزواج في عصرنا الحاضر من نفقات باهظة نتيجة تزايد التقاليد المبتدعة في مجال إقامة الأعراس وحفلات القران والزواج، الأمر الذي أصبح يرهق كاهل الزوجين، ويتعب عائلتيهما، مثل مشكلة المهور الباهظة، وما شابه ذلك مما هو في تصاعد مستمر في بلادنا، الأمر الذي دفع بالبعض إلى ترك الزواج، واشباع غرائزهم الجنسيّة بالوسائل غير المشروعة، ومن ثم شيوع اللا أبالية، والاباحية في المجتمعات.

[سيد المرسلين]

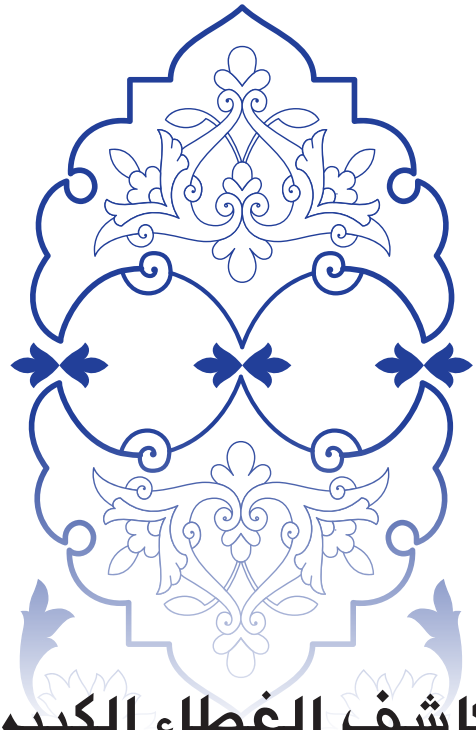

كاشف الغطاء الكبير والمصلون

العلامة محمد جواد مغنية

إنّ مَن يدّعي الاصلاح دينياً كان أو سياسياً لا يكون مصلحاً حتى ينكر ذاته، وينسى شخصيته، فيحاسب نفسه وأهله وولده، وكلّ مَن يلوذ به قبل أن يحاسب الناس، وأنّ من تظاهر بالصلاح والاصلاح، وعمل في الخفاء لحساب شهواته وملذاته فهو مراء منافق، وظالم لئيم.

إن نكران الذات هو الأساس الوحيد الذي يجب أن تبني عليه دعوة الداعين إلى الخير والصالح العام.

كان المغفور له الشيخ الأكبر جعفر كاشف الغطاء المتوفى في أوائل القرن التاسع عشر المرجع الأول للشيعة، وكان الاقبال عليه عظيماً من جميع الطبقات، وكان الناس يجتمعون ألوفاً للصلاة خلفه، وفي ذات يوم تجمع الناس في المكان الذي يصلي فيه الشيخ ينتظرونه كالمعتاد، ولما أبطأ عن ميعاده قام كل واحد إلى صلاته يؤديها منفرداً، ودخل الشيخ فرآهم على هذه الحال، فغاظته هذه النزعة الفردية، وهذا الانحلال، فوبخهم قائلاً: لماذا لم تختاروا رجلاً منكم يؤمكم في الصلاة؟ ثم قصد رجلاً عادياً يصلي في طرف المسجد، فاقتدى به، وصلى خلفه.

ربما كان تأخير الشيخ عن قصد وعمد، ليرى ما هم صانعون، إذا غاب هو عنهم، فلما رأى شتاتهم وتفككهم أنكر عليهم وضرب لهم من نفسه مثلا حياً لنكران الذات، واقتدى برجل عادي.

رأى الشيخ من إقبال الناس عليه، وثقتهم به، وتعظيمهم إياه، ما أخافه،

وأقلقه.. خاف، وهو الحارس على الدين ومبادئه، وحامي الشريعة وتعاليمها أن يتوهم متوهم أنه هو وحده الذي يستحق التكريم والتعظيم من دون الناس أجمعين، وإن من عداه ليس أهلاً لأن يكون إماماً للجماعات في الصلاة، ولا في غير الصلاة فحارب هذه الأرستقراطية، وهذا الاحتكار بأفعاله قبل أقواله، وأحيا مبدأ الرسول الأعظم الذي قال: «**إنّ في كلِّ حي نجيباً، وإن شر الناس من أحقر الناس**» أراد الشيخ من اقتدائه برجل عادي أن يخلق الثقة في نفس كل فرد بأنه أهل للإمامة في الصلاة، وقيادة الجماعات في كل عمل نافع، ما دام يذعن للحق، وينكر الباطل، وأن يفهم الناس جميعاً لأن القيادة ليست وقفاً على ذوي المناصب والأنساب، وأن في السوق والشارع نفوساً طيبة، وقلوباً ذكيةً تصلح لأن تقود جماعة، ويقتدي بها حتى الشيخ الأكبر، والمرجع الأول أمثال كاشف الغطاء.

إن أتباع الشيخ ومقلديه لا يرون غيره أهلاً لهذه الإمامة، فهو وحده القائد، وإمام الصلاة، ولو كان الشيخ من طلاب الرئاسة ومحبيها، لسره هذا الشعور من الجماهير، وأقرّهم عليه، وأغرّهم به ليغالوا بالإقبال عليه، والإعراض عمّن سواه، ولكن الشيخ نظر إلى هذا الشعور بمنظار الدين والواقع لا بانفعاله الذاتي، وأنانيته الضيقة، فرأى أن إقرارهم عليه تضليل وخيانة، فردعهم عنه، وأرشدهم إلى الحق مقتديا برجل عادي إطاعة لواجب الدين والعلم.

[الشيعة في الميزان]

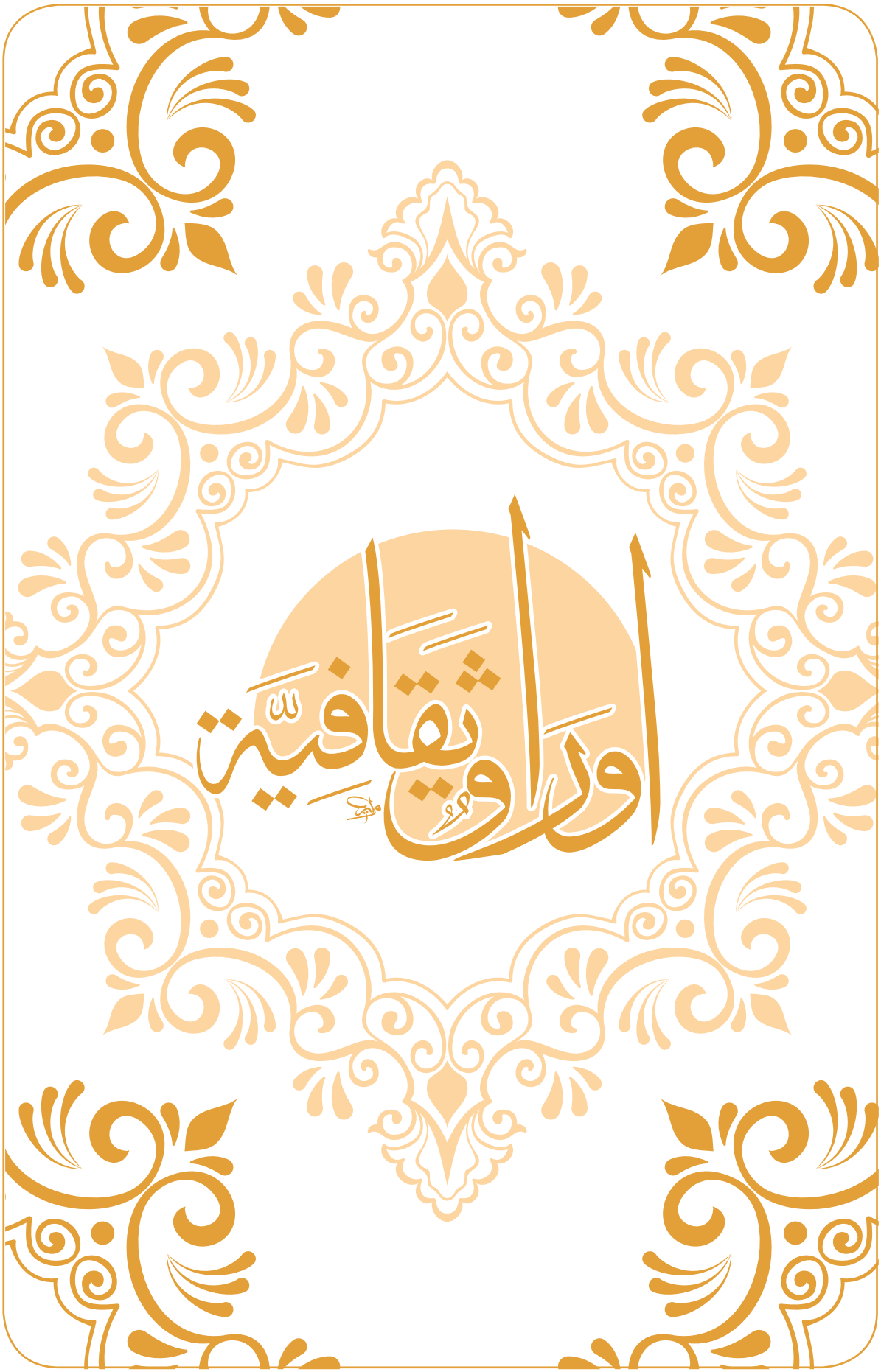
أوراد ثقافية

شروحات الصحيفة السجادية

العلامة الشيخ باقر شريف القرشي

عكف العلماء على السجادية وشرحها وإيضاح مقاصدها وقد أُلِّفت في ذلك مجموعة من الكتب القيمة ذكرها شيخ المحققين الشيخ أغا بزرك الطهراني وفي ما يلي نص ما ذكره:

١- شرح الصحيفة للميرزا ابراهيم بن محمد علي السبزواري المعاصر الملقب (بوثوق الحكماء) المتوفى ١٣٥٨هـ وهو شرح فارسي عرفاني، شُرِحَ فيه الغريب والجمل المشكلة طُبِعَ سنة ١٣٤٢هـ.

٢- شرح الصحيفة للميرزا ابراهيم بن مير محمد معصوم بن مير فصيح بن مير الحسين التبريزي القزويني المتوفى سنة ١١٤٩هـ ذكره ولده السيد حسن في خاتمة المعارج وقال: إن شرح بعض أدعية الصحيفة.

٣- شرح الصحيفة للشيخ تقي الدين ابراهيم بن علي بن الحسن بن محمد بن صالح بن اسماعيل الكفعمي صاحب (المصباح) والمتوفى سنة ١١٩٥هـ سماه الفوائد الطريفة.

٤- شرح الصحيفة للمولى شريف أبي الحسن بن محمد طاهر بن عبد الحميد الفتوني العاملي الأصفهاني الغروي المتوفى في حدود سنة ١١٤٠هـ.

٥- شرح الصحيفة، فارسي، لبعض الأصحاب.

٦- شرح الصحيفة: لبعض الأصحاب يوجد في المكتبة الرضوية.

٧- شرح الصحيفة: لبعض الأصحاب يوجد في المكتبة الرضوية لا يعرف عصره.

٨- شرح الصحيفة: للسيد الأجل الميرزا محمد باقر الحسين الفارسي.

٩- شرح الصحيفة: للعلامة محمد باقر المجلسي، فارسي، مقتصر على الموارد المهمة المشكلة.

١٠- شرح الصحيفة: للعلامة محمد باقر المجلسي لم يتم، اسمه الفوائد الطريفة باللغة العربية.

١١- شرح الصحيفة: لبديع الهرندي، فارسي، سماه رياض العابدين.

١٢- شرح الصحيفة: لمحمد تقي بن مقصود.

١٣- شرح الصحيفة: فارسي، مجهول المؤلف.

١٤- شرح الصحيفة: للسيد جمال الدين الكوكباني اليماني نزيل الهند المتوفى في بغداد سنة ١٣٣٩هـ.

١٥- شرح الصحيفة لبعض الأصحاب لا يعرف شخصه لنقص في أول النسخة و آخرها.

١٦- شرح الصحيفة لحبيب الله بن علي مدد الكاشاني توجد نسخة منه عند احفاده في كاشان.

١٧- شرح الصحيفة للشيخ عباس بن محمد علي البلاغي النجفي صاحب تنقيح المقال وهو شرح مزجي ألّفه في مشهد الرضا عليه السلام بخراسان زائرا شرع فيه في غرة جمادى الأولى سنة ١١٠٥هـ وفرغ منه في رجب من تلك السنة ونقله إلى البياض بعد مراجعته إلى أصفهان بمدة.

١٨- شرح الصحيفة للميرزا حسن بن المولى عبد الرزاق اللاهيجي صاحب شمس اليقين غير تام يقع في ثلاثة مجلدات.

١٩- شرح الصحيفة لتاج الدين حسن بن محمد الأصفهاني والد الفاضل الهندي، يوجد في مكتبة أبي الهدى الكلباسي في اصفهان.

٢٠- شرح الصيغة: فارسي، للمحقق الآغا حسين الخوانساري

المتوفى سنة ١٠٩٩هـ.

٢١- شرح الصحيفة: لحسين بن المولى حسن الجيلاني الاصفهاني المتوفى سنة ١١٢٩هـ.

٢٢- شرح الصحيفة: على نحو التعليق للسيد حسين بن الحسن بن أبي جعفر محمد الموسوي الكركي.

٢٣- شرح الصحيفة: على نحو التعليق للشيخ عز الدين الحسين بن عبد الصمد الحارثي العاملي والد الشيخ البهائي المتوفى سنة ٩٨٤هـ.

٢٤- شرح الصحيفة: لخليل بن الغازي القزويني نسخة منه كانت في مكتبة شيخ الشريعة الأصفهاني في النجف.

٢٥- شرح الصحيفة: للسيد محمد رضا الأعرجي.

٢٦- شرح الصحيفة لرضا علي الطالقاني.

٢٧- شرح الصحيفة لمحمد سليم الرازي.

٢٨- شرح الصحيفة لمحمد صالح بن محمد باقر الروغني القزويني فارسي.

٢٩- شرح الصحيفة لمحمد صالح بن محمد باقر الروغني، عربي.

٣٠- شرح الصحيفة: للشيخ عباس بن محمد علي بن محمد البلاغي النجفي.

٣١- شرح الصحيفة: للسيد صدر الدين بن المير محمد صالح الطباطبائي جد السادة المدرسين في يزد.

٣٢- شرح الصحيفة للمفتي مير عباس اللكنهوري يوجد في مكتبة السيد ناصر حسين الكنتوري بلكنهور.

٣٣- شرح الصحيفة: لجمال السالكين عبد الباقي الخطاط التبريزي، مسهب، مبسوط على طريقة الصوفية. كذا ذكره في الرياض.

٣٤- شرح الصحيفة: لعبد الغفار الرشتي من علماء عصر الشاه عباس.

٣٥- شرح الصحيفة: لابن مفتاح أبي الحسن عبد الله بن أبي القاسم بن مفتاح الزيدي اليماني.

٣٦- شرح الصحيفة لعبد الله أفندي صاحب رياض العلماء.

٣٧- شرح الصحيفة: لمحمد طاهر بن الحسين الشيرازي نزيل قم.

٣٨- شرح الصحيفة: لصدر الدين علي بن نظام الدين احمد الأشتكي الشيرازي المعروف بالمدني والمتوفى سنة ١١٢٠هـ اسمه رياض السالكين.

٣٩- شرح الصحيفة: للسيد شرف الدين علي بن حجة الله الشولستاني الحسيني الطباطبائي.

٤٠- شرح الصحيفة: لنور الدين أبي الحسن بن عبد العال الكركي المتوفى سنة ٩٤٠هـ.

٤١- شرح الصحيفة لأبي الحسن علي بن الحسن الزواري، وهذا الشرح فارسي.

٤٢- شرح الصحيفة: للشيخ علي بن الشيخ زين العابدين من احفاد الشهيد الثاني وهو شرح مبسوط يشبه تفسير مجمع البيان حيث يذكر الدعاء أولا ثم اللغة ثم الاعراب ثم المعنى.

٤٣- شرح الصحيفة: للشيخ علي بن الشيخ أبي جعفر وهو أيضا من احفاد الشهيد الثاني زين الدين، توجد النسخة في مكتبة السيد محمد المشكاة في طهران.

٤٤- شرح الصحيفة لمحمد علي بن نصير الجهار دهي الرشتي النجفي المتوفى سنة ١٣٣٤هـ مجلد كبير بالفارسية بعنوان الحاشية.

٤٥- شرح الصحيفة: للشيخ محمد علي بن الحاج سليمان الجشي البحراني الخطي تعرض فيه إلى لغاته وبيان غريبه ولكنه لم يتم.

٤٦- شرح الصحيفة: لفتح الله الخطاط الصوفي بحث فيه على طريقة التصوف.

٤٧- شرح الصحيفة: للشيخ فخر الدين الطريحي النجفي المتوفى سنة ١٠٨٥هـ أسماه النكت اللطيفة.

٤٨- شرح الصحيفة: للميرزا قاضي، شرح منه أربعة من أدعيتها وقد أسماه التحفة الرضوية.

٤٩- شرح الصحيفة: ناقص الأول والآخر لا يعرف مؤلفه يوجد عند الشيخ مهدي شرف الدين في تستر.

٥٠- شرح الصحيفة للسيد

محسن بن قاسم بن اسحاق الضغاني الزيدي من أهل القرن الثالث عشر.

٥١- شرح الصحيفة: للسيد محسن بن أحمد الشامي الحسيني اليماني الزيدي المتوفى سنة ١٢٥١هـ ذكره ابن زيادة في نشر العرف المخطوط.

٥٢- شرح الصحيفة لمحمد بن محمد رضا المشهدي مؤلف كنز الدقائق يقع في أربعة مجلدات نسخة منه عند السيد شهاب الدين التبريزي في قم.

٥٣- شرح الصحيفة: للسيد أفصح الدين محمد الشيرازي مؤلف المواهب الإلهية في شرح نهج البلاغة ذكره السيد شهاب الدين في المقدمة التي كتبها للصحيفة المطبوعة.

٥٤- شرح الصحيفة: لمحمد المدعو بعبد الباقي ذكر فيه لغات الصحيفة.

٥٥- شرح الصحيفة: للشيخ ابي جعفر محمد بن جمال الدين أبي منصور الحسن ابن الشهيد الثاني رحمه الله المتوفى سنة ١٠٣٠هـ.

٥٦- شرح الصحيفة: لمحمد بن الحسين بن عبد الصمد الحارثي العاملي المتوفي سنة ١٠٣٠هـ اسمه حدائق الصالحين وهو غير شرحه الآخر الذي هو على غرار التعليق.

٥٧- شرح الصحيفة: لقطب الدين محمد بن علي اللّاهيجي المولد الديلمي المحتد، شرح موجز فارسي وترجمة محتوية على حاصل المعنى بعبارات رائقة مألوفة وفيه تحقيقات دقيقة، توجد النسخة في مكتبة السيد جلال الدين المحدث في طهران.

٥٨- شرح الصحيفة للسيد محمد بن حيدر الحسيني الطباطبائي النجفي المتوفى سنة ١٠٩٩هـ من علماء عصر الشاه صفي ومن تلاميذ الشيخ البهائي واستاذ العلامة المجلسي.

٥٩- شرح الصحيفة لمحمد المدعو بشاه محمد الاصطهباناتي الشيرازي اسماه رياض العارفين أو روضة العارفين .

٦٠- شرح الصحيفة: أو التعليق عليها للمحدث محمد بن الشاه مرتضى الكاشاني المعروف بالمولى محسن الفيض المتوفى سنة ١٠٩١هـ

وقد طبع.

٦١- شرح الصحيفة للشيخ أبي جعفر محمد بن منصور بن أحمد بن الشهيد الثاني.

٦٢- شرح الصحيفة لشيخ الإسلام والمسلمين بهاء الملة والدين محمد بن الحسين بن عبد الصمد الحارثي العاملي المتوفى سنة ١٠٣٠هـ أسماه حدائق الصالحين .

٦٣- شرح الصحيفة للمحدّث السيّد نعمة الله بن عبد الله الموسويّ التستريّ الجزائريّ المتوفى سنة ١١١٢هـ سماه نور الأنوار، وقد طبع سنة ١٣١٦هـ .

٦٤- شرح الصحيفة: أيضا للسيد نعمة الله الجزائري وهو غير نور الأنوار، بل هو أكبر وأقدم منه.

٦٥- شرح الصحيفة: للفاضل هادي بن المولى محمد صالح بن احمد المازندراني وهو فارسي.

٦٦- شرح الصحيفة للشيخ يعقوب بن ابراهيم البختياري الحوزي المتوفى سنة ١٠٥٠هـ قال السيد حسن الصدر: رأيته بخطه الشريف.

وبهذا ينتهي ما ذكره المحقق الكبير الشيخ آغا بزرك الطهراني من شروح الصحيفة، وقد طُبِعَ بعد ذلك شرحان للصحيفة و هما:

٦٧- شرح الصحيفة للعلامة المغفور له الشيخ محمد جواد مغنية طُبِعَ في بيروت.

٦٨- شرح الصحيفة لسماحة الحجة السيد محمد الشيرازي طبع في كربلاء المقدسة.

هذه بعض شروح الصحيفة السجادية وهي تمثل مدى اهتمام العلماء بها في مختلف العصور وقد وجدوا فيها كنوزا من العلم والحكمة والعرفان وإنها من أهم الثروات الفكرية في الإسلام بعد القرآن الكريم ونهج البلاغة.

[حياة الإمام زين العابدين عليه السلام]

المقنع في الغَيْبة
لمؤلفه الشريف المرتضى

قراءة وتحقيق السيّد محمّد عليّ الحكيم

هو من خيرة وأنفس ما كُتِبَ في هذا الموضوع بالرغم من صغر حجمه، إذ لم يسبقه أحد إلى الكتابة بهذا النسق والأُسلوب، صنّفه على طريقة (فإن قيل ... قلنا) فجاء قويّ الحجّة، متين السبك، دحض فيه شبهات المخالفين، وأثبت غَيْبة الإمام المهدي عجل الله فرجه وعللها وأسبابها والحكمة الإلهية التي اقتضتها.

ثم أتبع ـ رضوان الله عليه ـ الكتابَ بكتاب مكمل لمطالبه، بحث فيه عن علاقة الإمام الغائب المنتظر عجل الله فرجه بأوليائه أثناء الغَيْبة، وكيفيّة تعامل شيعته معه أثناءها، مجيباً على كل التساؤلات خلال تلك البحوث.

ذكره له النجاشي ـ المتوفّى سنة (٤٥٠هـ) في رجاله، وذكره له أيضاً تلميذه شيخ الطائفة الطوسي في فهرسته، وتابعه على ذلك ياقوت الحموي عند إيراده ترجمته، ومن ثمّ ذكره له كل من أورد قائمة مؤلّفاته المفصّلة في ترجمته.

أهمّيّة الكتاب:

تظهر أهمية الكتاب ومنزلته الرفيعة إذا علمنا أنّ شيخ الطائفة الطوسي قد أورد مقاطع كبيرة ومهمّة منه ـ تارة بالنصّ وأُخرى بإيجاز واختصار ـ وضمَّنها كتابه (الغَيْبة) في (فصل في الكلام في الغَيْبة) تراها مبثوثة فيه، منسوبة إليه من دون التصريح باسم (المقنع).

ثمّ كانت هذه النقول ضمن ما نقله شيخ الإسلام العلامة المجلسي ـ المتوفّى سنة (١١١٠ هـ) عن كتاب (الغَيْبة) للشيخ الطوسي، وأودعه في موسوعته (بحار الأنوار) في الجزء ٥١ / ١٦٧ باب ١٢، في ذكر الأدلّة التي ذكرها شيخ الطائفة على إثبات الغَيْبة.

هذا، وإن العلامة المجلسي رحمه الله كان قد ذكر كتاب (المقنع في الغَيْبة) ضمن مصادر كتابه (بحار الأنوار) أثناء تعداده لها في مقدّمته في ج ١ / ١١، إلّا أنني لم أعثر على ما صرّح بنقله عنه مباشرةً، بالرغم من تفحّصي في (البحار) قدر المستطاع !

وعليه: يصبح الكتاب أحد مصادر (بحار الأنوار) بالواسطة، لا مباشرةً.

كما نقل أمين الإسلام الشيخ الطبرسي ـ المتوفّى سنة (٥٤٨ هـ) مقاطع مهمّة من الكتاب ـ تارةً بالنصّ وأُخرى بإيجاز واختصار أيضاً ـ وأودعها في كتابه (إعلام الورى بأعلام الهدى) من المسألة الأُولى حتى المسألة الخامسة، من الباب الخامس، تحت عنوان: (في ذكر مسائل يسأل عنها أهل الخلاف في غَيْبة صاحب الزمان ...).

ولم يصرِّح أيضاً باسم (المقنع) وإنْ صرّح بنقلها عن الشريف المرتضى.

فاهتمام الاعلام بإيراد مقاطع مهمة أو اقتباسهم منه في مصنّفاتهم، دليل على إخباتهم بتقدُّم الشريف المرتضى وسبقه في هذا الميدان.

سبب تأليف الكتاب وزمانه :

قال السيّد الأجّل المرتضى في أوّل كتابه هذا: «جرى في مجلس الوزير السيّد ـ أطال الله في العزّ الدائم بقاءه،

وكبت حسّاده وأعداءه ـ كلام في غَيْبة صاحب الزمان ... ودعاني ذلك إلى إملاء كلام وجيز فيها ...».

ثمّ قال ـ بعد قليل: «وأرى من سبق هذه الحضرة العالية ـ أدام الله أيامها ـ إلى أبكار المعاني ...».

ولهذا وذاك جاء في الذريعة (٢٢ / ١٢٣): «... وقال شيخنا النوري: كتبه السيّد المرتضى للوزير المغربي».

ثم قال الشيخ آقا بزرگ الطهراني: «والوزير المغربي هو أبو الحسن عليّ بن الحسين بن علي بن هارون بن عبد العزيز الأراجني، كما يظهر من النجاشي في ترجمة جدّه الأعلى هارون بن عبد العزيز».

ثمّ إنّ الشريف المرتضى ألّف كتابه هذا بعد كتابيه (الشافي في الإمامة) و(تنزيه الأنبياء والأئمّة) حيث أحال في أوّله وفي مواضع أُخرى منه إليهما.

طبعات الكتاب:

لم يقدَّر لهذا الكتاب أن يرى النور من قبل إلّا على صفحات (تراثنا) في طبعته هذه التي بين يديك عزيزي القارئ.

أمّا احتمال كونه مطبوعاً ببغداد من قبل في (سلسلة نفائس المخطوطات) وبعد ذلك في المجموعة الثانية من (رسائل الشريف المرتضى) فمردود بأمرين:

أوّلهما: أن بدايات نسخ كتابنا هذا لا تتفق مع بداية الرسالة المنشورة المذكورة آنفاً، في حين أنّ هذه النسخ تتفق مع ما ذكره الشيخ آقا بزرك الطهراني، حينما عرّف كتاب (المقنع في الغَيْبة) في الذريعة ١٢٣ ـ ١٢٤ / ٢٢ مستنداً في ذلك على النسخة التي رآها في خزانة الحاجّ علي محمد منضمّة إلى نسخة (الآدب الدينية).

ثانيهما: أنّ الرسالة المطبوعة سابقاً ـ والتي لا تتجاوز الستّ صفحات ـ لم تعالج من الشبهات والمسائل المتعلّقة بالغَيْبة ما عالجه كاتبا هذا، فقد استوفى كتابنا كلّ جوانب البحث بدّقة شاملة وسعة أُفق، وهو ما يوحي به اسم الكتاب أيضاً بخلاف تلك.

رثاء بحق أبي الفضل العباس بن علي (عليهما السلام)

يؤرخ عام نظمها وذلك في الخامس من المحرم ١٢١٥ هـ.

الشيخ محمد بن اسماعيل البغدادي الحلي الشهير بابن الخلفة

احبس ركابك لي فهذا الأبرق ... إني لغير رباه لا أتشوق

لي فيه سحب مدامع مرفضة ... وبروق نار صبابة تتألق

شوقاً لما قضيت بين ظبائه ... عصراً به غصن الشبيبة مورق

يا سعد دع لومي فأيام الصبا ... بيض بها لذوي المحبة رونق

أيام لاغطني بمنعرج اللوى ... حرج ولا عيشي لعمرك ضيق

ولت فبت أعض أنمل راحتي ... وكصفقه المغبون وجداً أصفق

وهتفت هتف مرنة رأد الضحى ... أسفاً وجيدي بالهموم مطوق

وحشاشتي كمداً تقيد مثلما ... حزنا على (العباس) دمعي مطلق

الفارس البطل الذي يردي العدى ... من كفه ماضي الغرار مذلق

فهو الذي بالمكرمات متوج ... فخراً وبالمجد الأثيل ممنطق

صمصام حق ليس ينبو حده ... وجواد سبق في الندى لا يلحق

لم أنس من خذل الأنام شقيقه ... مذ شاهدوا ريب المنون وحققوا

في نفسه واسى الحسين فيالها ... نفس على مرضاة رب تنفق

لما رأى في الغاضرية نسله ... يبس الثغور من الظما لا تنطق

فاعتد شوقاً للمنايا وامتطى ... طرفاً لأرياح العواصف يسبق

ومضى لشاطي العلقمي بقربة ... كيما لها عذباً فراتاً يغبق

عن شعراء الحلة للخاقاني ج ٥ ص ١٩٦.

لما رأته علوج حرب مقبلا ... لا طائشاً عقلا ولا هو مرهق

زحفت عليه كتائب ومواكب ... كعباب بحر خيلها تتدفق

ملتفة الأطراف إلا شوسها ... بظباه أي ممزق قد مزقوا

فكأن أسهمها له قد سددت ... ورق الجنادب بالمشارع حدق

فسطا عليها ثم صاح فكادت ... الأملاك من تلك الزماجر تصعق

شكت عواملة صدور صدورها ... ورؤوسها بشبا الحسام تحلق

هذا عليه الزاغبية اخلفت ... ضرباً وهذا بالنجيع مخلق

فاغتاله علج بحاسمة برت ... منه اليمين وطار منها المرفق

فانصاع يحمل شنه بشماله ... حذراً وخوفاً ماؤه لا يهرق

فبرى لها بري اليراع كأختها ... في غرب منصلة وعدو مخنق

فغدا يكابد بالثنايا حمله ... وله العدى بشبا الضغائن خرقوا

وأصاب مفرق رأسه ... بعموده الشامي نسل العاهرات الأزرق

فهوى كبدر في المحاق ولم أخل ... أن البدور بليل نقع تمحق

وغدا ينادي للحسين برنة ... ثبت الجنان يكاد منها يقلق

فأتى لمصرعه كرجع الطرف لا ... يثنيه جيش للطغاة وفيلق

فرآه ملقى فوق بوغاء الثرى ... وعليه غربان المنية تنعق

فبكى وناجاه بأعظم حسرة ... صبراً أخي فإنني بك ملحق

لله در من وفي ناصح ... بالذب والأقوال عني تصدق

جاهدت دوني المارقين بعزمة ... من وقعها صم الصلاد يفلق

أردوك ظام لاسقوا قطر الندى ... في النشأتين ولا سحاب مغدق

الله أكبر من رزايا عمت ... الدنيا فزلزل غربها والمشرق

حقّ الرحم (الأم)

الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام

فَحَقُّ أُمِّكَ فَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّهَا حَمَلَتْكَ حَيْثُ لَا يَحْمِلُ أَحَدٌ أَحَداً وَأَطْعَمَتْكَ مِنْ ثَمَرَةِ قَلْبِهَا مَا لَا يُطْعِمُ أَحَدٌ أَحَداً وَأَنَّهَا وَقَتْكَ بِسَمْعِهَا وَبَصَرِهَا وَيَدِهَا وَرِجْلِهَا وَشَعْرِهَا وَبَشَرِهَا وَجَمِيعِ جَوَارِحِهَا مُسْتَبْشِرَةً بِذَلِكَ فَرِحَةً مُوَابِلَةً مُحْتَمِلَةً لِمَا فِيهِ مَكْرُوهُهَا وَأَلَمُهَا وَثِقْلُهَا وَغَمُّهَا حَتّى دَفَعَتْهَا عَنْكَ يَدُ الْقُدْرَةِ وَأَخْرَجَتْكَ إِلَى الْأَرْضِ فَرَضِيَتْ أَنْ تَشْبَعَ وَتَجُوعَ هِيَ وَتَكْسُوَكَ وَتَعْرَى وَتُرْوِيَكَ وَتَظْمَأَ وَتُظِلَّكَ وَتَضْحَى وَتُنَعِّمَكَ بِبُؤْسِهَا وَتُلَذِّذَكَ بِالنَّوْمِ بِأَرَقِهَا وَكَانَ بَطْنُهَا لَكَ وِعَاءً وَحَجْرُهَا لَكَ حِوَاءً وَثَدْيُهَا لَكَ سِقَاءً وَنَفْسُهَا لَكَ وِقَاءً تُبَاشِرُ حَرَّ الدّنْيَا وَبَرْدَهَا لَكَ وَدُونَكَ فَتَشْكُرُهَا عَلَى قَدْرِ ذَلِكَ وَلَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلّا بِعَوْنِ اللهِ وَتَوْفِيقِهِ.

[رسالة الحقوق]